فما ظنكم برب العالمين

(محرم ١٤٤٦)

أ.أناهيد بنت عيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس

الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزّوجلّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الأول

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم اجعل أعمالنا خالصة لوجهك، واجعل مثل هذه المجالس التي نتذاكر فيها ما تحبه وترضاه في موازين حسناتنا، اللهم آمين.

عنوان لقاءنا اليوم بإذن الله {فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ}، والكلام عن ظنون الإنسان بربه وما يترتب على هذه الظنون من أعمال، من حسنات، وخلافها سيئات، نعوذ بالله.

أولا لا بد أن نعلم أن **الظنون** التي هي عمل القلب **أصل من الأمور التي يحاسب عليها الإنسان**، وأدلة ذلك كثيرة من أهمها آية سورة فُصِّلت التي فيها خبر عن أن أهل النار -والعياذ بالله- سبب تردّيهم في النار ظنهم برب العالمين، ولذلك يقول الله عز وجل: {وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ}.

وليظهر معنى الظنون ويظهر أثرها، تكاد تكون هي مجمع معرفة الإنسان، يعني كما أنك تعرف كذلك أنت تظن. ظنك مبني على المعرفة.

عادة نستعمل كلمة الظن بمعنى الشك، وهو خلاف الحقيقة، فالظن كأنه تجميع ما تعرفه. ظنك هذا هو الذي يترتب عليه تصرفك،

سنناقش ثلاثة أمور أساسية:

١- العلاقة بين معرفة الله وظنونك.

٢- ظنونك ومشاعرك.

٣- مشاعرك والأجور.

أصبح عندنا ثلاث كلمات؛ المعرفة، الظن، المشاعر، إلى أن نصل إلى الأجر. هذه هي القضية، المعرفة تأتي بالظنون، الظنون هي التي تشغل المشاعر، المشاعر هي التي تأتي بالأجور.

نبتدئ بالنقطة الأولى، وسيتبين هذا الأمر من خلال مناقشة النصوص.

المعرفة والظنون

نأتي إلى قصة مشهورة معروفة لها تاريخها العظيم، وهي قصة هاجر مع إبراهيم، عليه السلام. هذا الموقف المعروف في كونه أتى بها من دارها، ووضعها في أرض قفر، لا حياة فيها، كأنه في بيت أهلها، بل أكثر من بيت أهلها، وضعها بطمأنينة، وهي استقبلت الأمر بكل طمأنينة لما عرفت أن

الله أمره بذلك. انظر إلى الظن الذي في قلبها، هي سألته سؤال واحد: آالله أمرك بذلك؟ لما قال لها أن الله أمره بذلك أخرجت المعرفة التي في فؤادها، قالت إذن لن يضيعنا الله. هذا الظن مبني على المعرفة.

هذه القصة من أشهر القصص وأكثرها بيانا. بدأنا بهاجر لأنها ليست نبي، حتى لا يقال هذا نبي وعنده أموره، ونحن نعرف أن المرأة لا تُنَبّأ، المقصد أن هذا الظن ما بُني إلا من معرفة سابقة، إلا من معرفة بالله. لنأتي بمواقف أخرى فيها ظنون مبنية على المعرفة.

نأخذ موسى -عليه السلام- في سورة الشعراء، ونرى هذا المقطع الذي يبين ظن موسى -عليه السلام- بربه.

{فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّاۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢)}

نريد أن نحلل النص بصورة جيدة ونرى طرفين في الظنون، وكيف الجاهل يظن، وكيف العالم بالله يظن. نتذكر أننا ما بدأنا بموسى، عليه السلام، لأننا نخشى أن يقال موسى نبي، بدأنا بهاجر لنعرف أن هذه الظنون تكون من كل من يعرف الله بدرجات، وأنت نفسك في مواقف تختلف، في مواقف يكون ظنك أحسن ما يكون، وفي مواقف يكون ظنك أضعف ما يكون.

سنرى الموقف العظيم، موقف من أعظم المواقف التي يمكن أن يختبر فيها ظن الإنسان؛ أعداء خلف هؤلاء الناس الذين وقع عليهم ما وقع من الظلم، وقع عليهم من الخوف، العدو الذي يخافون منه وراءهم، ما أمامهم إلا البحر، وما الذي وقع في ظنهم؟ {إِنَّا لَمُدْرَكُونَ}، شعروا أن الأسباب المادية تحكم أن يحصل إدراك العدو لهم.

الظنون ماذا تفعل؟ الظنون المبنية على معرفة، الظن برب العالمين ليس شكًّا، إنما مبني على المعرفة. هم قالوا -بالأسباب المادية- {إِنَّا لَمُدْرَكُونَ}، يمكن أن تقول هذه الأسباب المادية تعطيهم العذر، نقول ما تعطيهم العذر، لماذا؟ لأنهم تعرضوا لمعرفة الله من خلال الوحي الذي تكلم به موسى -عليه السلام- وبين لهم أن هذه اللحظة التي أمروا فيها بالخروج، أن الله أمرهم، هذا الأمر ليس من عنده، وأن الله -عز وجل- ما دام أمر ووعد، لن يخلف وعده، وأن الأسباب المادية -مهما أجمعت- سينفذ أمر الله ولا ينفذ أمر الأسباب المادية.

بهذا أصبحوا ملامين، لأن الذي يعرف الله ويسمع وعد الله ينتظر منه أمر غير أمر الجاهل بالله. الجاهل بالله يمكن أن يسيء الظن بالله، الذي يعرف وعد الله، سمع وعد الله، عرف وعد الله، وجب عليه الثقة بوعد الله. سنرى هنا تعبير دقيق في هذه السورة لما يأتي وقت النجاة.

قالوا {إِنَّا لَمُدْرَكُونَ} ونود أن نتصور أن هذه الجملة نستعملها بطرق أخرى، مثلا تسمع {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا} و إن شاء الله سنقف على سورة الطلاق بكاملها لنرى أن ربنا يأمرنا بحسن الظن به في سورة الطلاق، وهي في التصور، أنها أبعد ما تكون في الكلام عن حسن الظن، لكن سيتبين كيف أن هذه السورة تأمرنا بحسن الظن.

مثلا تضيق علينا الظروف، الأمور، الابتلاءات، الاختبارات شيء طبيعي، لأن الظن المبني على المعرفة دائما يُختبر، لما نبتلى بهذه الأشياء التي يمكن أن تضيق علينا كأننا كلنا نقول مثلهم {إِنَّا لَمُدْرَكُونَ} كأننا نقول (أُقْفِلَت، ما لها حل) الجاهل يسمع وعد الله لكن لا يتيقن به، فيتصرف مثل تصرف هؤلاء، يقول مثلما يقولون.

نعود مرة أخرى إلى نقطة مهمة جدا في مسألة الظنون: ربنا يعلمك عنه، كما من علينا بالقرآن، أعظم نعمة على الإطلاق أن تكون في الأرض وتعرف ربنا العظيم الكريم الملك المدبر لهذا الكون، عرّفك كيف تتصرف الأمور، عرفك حكمته -سبحانه وتعالى- في كل شأن. أنت عرفت الله، هل هذه المعرفة مثل أهل الدنيا الذين يدعون أنهم يعرفون، البشر مثلك ليتأكد أنك تعرف يختبرك، بنو إسرائيل عرفوا الله من طريق موسى -عليه السلام- وكما في سورة يونس {وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً} كيف كانوا يجتمعون

ويصلون ويعبدون الله ويتعلمون عنه، وبعد هذا الزمن كله نزل الأمر أن اخرجوا من دياركم، وهم موعودون بالنجاة، كيف النجاة؟ الله أعلم، لكن هم موعودون بالنجاة. هذا الوعد بالنجاة أن ضمنه اختبار أنهم يأتون في هذا الموقف الحرج. لأنه كان يمكن لربنا أن يعمي على عين فرعون ولا يخرج وراءهم، ولا يسمع الخبر، وكان يمكن أن يفروا منه قبل أن يصلهم، لكن رب العالمين جعل المواجهة لأجل الاختبار، المواجهة من أجل إخراج الظن الذي تظنه بالله.

كل الابتلاءات التي تأتي على الناس إنما هي إخراج لما هو في الفؤاد من ظنون. فإن حسن ظن الإنسان فليبشر، أتاه الفرج، والقضية ليست في الفرج قدر ما هي في الأجر الذي يترتب على هذا الأمر، أما القدر سيجري والأمر سيكون لكن بين خاسر للأجر وبين كاسب له.

{قَالَ أَصۡحَابُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ} اسمع كلام موسى -عليه السلام- الذي فيه دلالة على اليقين {قَالَ كَلَّآ} هذه الكلمة العظيمة، لن يدركونا {كَلَّآ} هذا كلام باطل، لن يحصل، فانظر إلى الثقة واليقين، مع أنه هو يتعرض لنفس العوامل المادية: العدو وراءه والبحر أمامه. {كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ}.

سنعيد هذا المعنى الموجود في سورة الشعراء، موسى -عليه السلام- يقول {كَلَّاۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ} وفي نفس الصفحة إبراهيم -عليه السلام- يعرف بربنا فيقول {الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ} أنت في أزمة؟ هو خلقني فهو يهدين، أنت في أي طارئ، في أي مشكلة، في أي حالة {إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ} هذا هو نفس معنى {خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ}، كأن إبراهيم -عليه السلام- أتى بهذا المعنى على وجه العموم، وموسى -عليه السلام- أتى به في المضائق والمصاعب.

في كلام موسى عليه السلام ثلاثة أمور:

أولا {مَعِيَ} هذه المعية العظيمة، هذه الصفة التي تأتي للعبد من فضل الله، عز وجل، ويبتدئها العبد في أن يناجي ربه، في أن يطلب ربه، في أن يوحِّد ربه في الشكوى، يطلب الله فيكون الله معه. وهناك طرق للمعية، إن شاء الله إذا تيسر خلال المناقشات في هذه اللقاءات تأتي الإشارة إليها، كيف يصل الإنسان إلى هذه المعية.

ثانيا {رَبِّي} ربوبية الله وأنه المالك، المدبر لشأنه، المالك للكون الذي يصرف الكون كما شاء على ما أراد، ويعطي الإنسان في المستحيل كما يعطيه في الممكن. هذه حدود تفكيرنا؛ أن تأتينا عطايا الله في الممكنات. في موقف موسى -عليه السلام- الممكنات أن يخسف بجيش فرعون، أن

تأتي ريح وتذهب بهم لأن هذا من الأشياء التي يمكن أن تحصل في الأرض، لكن المستحيلات أن يتحول بحر إلى يابسة، فربي ما أعطاه في الممكنات، بل أعطاه في المستحيلات، والسبب هذا المعنى الذي قام في قلبه، لذا سنرى كيف سيأتي الأمر.

ثالثا <u>الهداية</u> {سَيَهْدِينِ} وهذا المعنى من المعاني التي تستغرق حياة الإنسان كلها، ونتذكر كلام إبراهيم -عليه السلام- {خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ} إذا كانت في عقلي فكرة وأنا مشوش فيها ربي {الَّذِي خَلَقَنِي} فسيهديني، حتى أعضاء بدنك التي تعمل أنت ما لك فيها شيء، لكن ربي يهدي هذه الأعضاء التي في داخلك للمصالح. أنت عبد الله، وهذه ربوبيته تحيط بك، وهذه هدايته لك في كل شأن. فيجب أن تعرف أن الهداية في كل شأن إنما على قدر طلبك لها من رب العالمين.

في الفاتحة نكرر في كل صلاة {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} وهذا الصراط المستقيم في كل شأن من شؤوننا، والثقة في رب العالمين أنه خلقنا، لن يهملنا، لن يتركنا، سيهدينا، لكن المطلوب منا طلب الهداية.

في الحديث "يا عبادي كلُّكم ضالٌّ إلَّا من هديتُه" فما المطلوب منك؟ "فاستهدوني أهدِكُم" إيمانك بأنه رب يوجب إيمانك أن الهداية بيده، إيمانك بأنه خلقك يوجب لك طلب الهداية من رب العالمين في جميع

شأنك. لا تظن أننا سنطلب الهداية في شؤون العبادات وسنتركها في شؤون الحياة، وإنما هي عامة، خلقني فسيهديني في كل شؤوني.

لذلك لما تصف نجاحا من نجاحاتك، أو خروجا من أزمة من أزماتك يجب أن تنسبها لفعل الهداية لله، كل ضيق مررت به وخرجت منه ما هداك إلى طريق الخروج إلا رب العالمين. فلما تتكلم لا تقل هذا في قلبي، وهذا يكفي، لو كان ما في قلبي كاف لما تكلم به موسى -عليه السلام- وقال لهم: {كَلَّاۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ}، ولما كان إبراهيم -عليه السلام- عرف الناس بقوله: {ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ} يجب أن يمتلئ الفؤاد بهذا المعنى حتى يكون جاريا على اللسان. فلا تحكِ حكاية لخروج من أزمة، أو لاهتداء لمصلحة، أو معرفة شيء، أو نجاح في تجارة، أو نجاح في تربية، أو ما أردت من شأن إلا وأنت تقول ربنا هدانا لكذا وكذا. لأن هذا المعنى لو كان مستقرا في الفؤاد يجب أن يتكلم به اللسان، أما الكذب على الله لا يأتي بنتيجة.

بمعنى إذا خلا الفؤاد من هذه المعاني، لن يتكلم اللسان بها. لا يتكلم اللسان إلا إذا امتلأ الفؤاد به. هذا ظن موسى -عليه السلام- برب العالمين، وسنرى أثر هذا الظن.

الظن فيه ثلاثة أمور: معي، وربي، ويهدين.

ثم أتت الفاء {فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ} مباشرة، ما أن ظهر هذا الظن من موسى -عليه السلام- وهو ظن متوقع من موسى لأنه رسول من عند الله، إلا أوحى الله إليه بهذا.

{أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ}

انظر إلى المناسبة العظيمة، هؤلاء بنو إسرائيل ربنا أعلم بهم، وأعلم بمشاكلهم، وأعلم بأحوالهم، فما جعلهم كلهم ينفذون من طريق واحد، بل جعل لكل سبط منهم طريق، فانقسم هذا البحر إلى اثنتا عشر طريقا حتى تسير كل جماعة في طريق ولا يتخاصموا مع الآخرين. لهذه الدرجة مناسبة عطاء الله للحاجة، ليس مجرد أن البحر انفلق، بل أيضا تحدد لكل جماعة طريقهم.

نصل إلى الآية الخامسة والستون {وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ} ثم كل الباقين اسمهم {وَمَن مَّعَهُ} إشارة إلى أن موسى وظنه أنجى الباقين، كان سببا للنجاة. موسى -عليه السلام- أصبح كأنه هو العماد والباقين {وَمَن مَّعَهُ} والمقصود بهم بنو إسرائيل.

موسى -عليه السلام- بما كان معه من ظن كان سببا للنجاة لنفسه ولمن معه. وهكذا الظنون، تكون سببا للنجاة.

هذه الظنون كيف سنعاملها؟

إذا حصلت معرفة يقينية، وصل الإنسان إلى حسن الظن، وكلما زادت المعرفة زاد حسن الظن. سنرى في نفس السورة كلام إبراهيم -عليه السلام-.

إبراهيم -عليه السلام- كيف يخاطب قومه؟

يسألهم {مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ} يسألهم {هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ} بهذه الأسئلة أشار إبراهيم -عليه السلام- إلى ظنونه في الإله الذي يعبده، ماذا يتوقع في الإله الذي يعبده؟ أنه يسمعه لما يدعو، لأنه هو فقير طوال الوقت، محتاج أن يسمعه إلهه، ومن ثم يستجيب له. وإذا سمعه سينفعه ويمنع عنه الضر. فهو يسألهم هذه الأسئلة كأنه يشير إلى ما في نفسه من الظنون في رب العالمين. لو أخذنا كلام إبراهيم -عليه السلام- على أنه أمر يجب أن تطلبه في نفسك في علاقتك مع رب العالمين، ماذا تظن برب العالمين؟

أنه يسمعني إذا دعوته، ومن ثم، إذا كنت مؤمن أنه يسمعك إذا دعوته، هل ستتوقف عن الطلب منه؟ لا! الأمر الذي تؤخر فيه الطلب من رب العالمين يكون حصل منك تعطيل لظنك. يترتب على هذا أنك

مؤمن أنه ينفعك ويدفع عنك الضر، المرة التي تتأخر فيه عن طلب شيء من حاجاتك يصبح هذا تعطيل لهذه المعرفة.

معرفتك أن ربنا يسمع الدعاء وربنا ينفع ويدفع الضر، متى تصبح هذه المعرفة فعالة؟ إذا حصل منك الانفعال، ما هو الانفعال؟ سؤاله كل شيء تحتاجه. الصحابة الكرام، فيما يروى عنهم، أنهم كانوا يطلبون من الله حتى الملح إذا نقص عليهم.

في الحديث القدسي قال الله -سبحانه وتعالى- "يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَن هَدَيْتُهُ" كذلك "يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَن أَطْعَمْتُهُ" "يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَن كَسَوْتُهُ" هذه المعاني تذهب وتضعف مع توفر النعم، فنشعر أننا لسنا بحاجة إلى الطلب.

لما يأتي معنى مثل معنى البركة في الطعام، البركة في الشراب، البركة في الحياة، إلى آخره، فيظهر للناس أنه يمكن أن يكون الشيء متوفر لكنه منزوع البركة؛ المال متوفر لكنه منزوع البركة، الطعام متوفر لكن الصحة قليلة، أو لا يوجد شبع، أو لا توجد قناعة.

المقصد أن المعرفة يجب أن تُفعّل، وتفعيلها هو الانفعال بها. إذا كنت تعرف عن الله شيء، يجب أن تسأل نفسك إلى أي درجة أثر بك. تؤمن أنه قريب، أنه مجيب، أنه عليم، أنه حكيم، أن بيده ملكوت السماوات

والأرض، أنه يدبر الأمر، كل هذا يجب أن يؤثر على الظنون، وإذا أثر على الظنون أثر على انفعالك، ومن ثم على ثقتك. حتى لما تطرق باب طبيب وأنت مليء بالظن أن رب العالمين هو الشافي -سبحانه وتعالى- كما ورد في الحديث أن النبي، ﷺ، كان يشتكي من ظهره، فأتاه رجل قال أرني ظهرك إني طبيب، قال له النبي، ﷺ "اللهُ الطَّبيبُ، بل أنت رجلٌ رفيقٌ" أنت مجرد أنك ترفق بي وإذا أرشدك الله جرى على يدك الطب، وإذا لم يرشدك كنت أنت مسبب لي الضعف، وإنما اهتمامك بي من باب الرفق، أنت رفيق لكن الطبيب الله.

هذه المشاعر وهذا الظن لما تكون مستولية على الفؤاد ستأخذ بالسبب، تذهب إليه، لكن بمشاعر اليأس من الناس والثقة بالله، أن الله الذي يجري على أيدي هؤلاء الرفقاء، الذين من صفتهم الرفق، يجري على يدهم الطب والعلاج، هذا الشعور هو الظن بالله.

لو لم تكن هناك اختبارات، لو ما كان قوم موسى أتى من ورائهم فرعون، لما ظهرت ظنونهم، لو لم توضع هاجر من إبراهيم- عليه السلام- في تلك الأرض القفراء، لما خرجت ظنونها.

عليك أن تتصور أن الحياة مجموعة اختبارات لهذه الأمور المبنية على المعارف. الطريق لحسن الظن بالله، معرفة الله معرفة يقينية مُفعّلة.

عليك أن تراجع قاعدة بياناتك، كم عندك قاعدة بيانات في معرفة الله، ومن ثم كم قاعدة البيانات هذه مفعلة، وليست مسجلة وموضوعة في الأرشيف! الأزمة أن هل تصرف فؤادي هذا، ميل فؤادي، طمأنينتي، قلقي، هل عندي مادة من المعرفة أسكّن بها القلق، الذي هو مرض العصر. لا نقول لا تقلق، لا نقول لا تمرض، لا نقول ما تخاف، فموسى -عليه السلام- كما في سورة القصص تكرر منه التعبير عن الخوف، لكن في كل مرة هذا الخوف يسكن بمعرفة.

إذا أردت أن تعرّف الشجاعة، عليك أن تقول أن الشجاعة هي تسكين النفس وقت الخوف، أنت تعترف أن الشجاع يخاف، إذا كان الشجاع ليس له القلب الذي يخاف يكون هذا شيء آخر غير الشجاعة، وهي ليست موضوعنا، فأهل التهور لا حاجة للكلام عنهم. لكن الخوف يعالج فيصير شجاعا، في النفس شح، والشح يعالج فيأتي الكرم، إلى أن يصبح سجية. كل داء من هذه الأدواء التي تصيب الإنسان تعالج بالمعرفة.

الشح مثلا طبيعة إنسانية، مهما كنا في درجات الكرم لا كلام فيها، لكن {مَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ} هناك أناس يوقوا شح نفسهم، ماذا فعل هؤلاء؟ عالجوا هذا الداء بمعرفة الله، مرروا على أنفسهم المعاني أن الملك ملك الله، أن المال مال الله، أن الله هو الوارث، أنه هو الأول الذي

أعطى الناس، الآخر الذي يرث الناس سبحانه وتعالى، أنه يخلف على الناس عطاياهم، أنه كذا، أنه كذا.. إلى أن يتداوى الفؤاد. كأنك تضع مرهما تعالج به هذا الأمر إلى أن يشفى فتصبح سجيتك العطاء، تكون من الناس الذين دخلوا وقاية شح أنفسهم. الداء موجود لكن نعالجه إلى أن نصل، وكل مرة تزيد المعرفة ويزيد التفكير فيها، وتزيد شواهدها من الحياة، كل مرة يزيد اليقين الذي في القلب بالله.

مررنا على أول جملة وهي المعرفة تبني الظنون. ثم هذه الظنون هي التي تأتي المشاعر.

سننتقل لهذه ثم نفعِّل هذا الكلام في سورة الطلاق وسورة الكهف لنتصور هذا المعنى، في هذه المرة نأتي بهذا الكلام بالإجمال.

ظنونك ومشاعرك

المعرفة أتت لنا بالظنون، الظنون ستشغل المشاعر. هذه هي الأزمة؛ أن المعارف كأنها في الأرشيف، ما شغلت المشاعر، وهذا الكلام لكي نتصوره جيدا، لأن كلمة المشاعر كأنها كلمة طارئة، كأننا نشعر أنه لا علاقة لها بالدين

مشاعرك والأجور

نأتي بنصوص تؤكد لنا أن الشعور هو أساس الأجور في المعنى الذي يليه.

لنعد السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة:

"سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعالى في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلّا ظِلُّهُ: إمامٌ عَدْلٌ، وشابٌّ نَشَأَ في عِبادَةِ اللَّهِ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَساجِدِ، ورَجُلانِ تَحابّا في اللَّهِ، اجْتَمعا عليه وتَفَرَّقا عليه، ورَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجَمالٍ فَقالَ: إنِّي أَخافُ اللَّهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقَةٍ فأخْفاها حتّى لا تَعْلَمَ شِمالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خالِيًا، فَفاضَتْ عَيْناهُ" [متفق عليه]، سنجد على الأقل أربعة منهم لحظة شعورية سريعة.

"إِمَامٌ عَادِلٌ"، هذا الله أعلم كم من الزمن أخذ.

"وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ" مثله أخذ زمن طويل.

"وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"، هذا شعور، هذا يكفي في مرة واحدة، خاليا هنا تعني لوحده، هذا معنى، ويمكن أن تكون بمعنى أن قلبه خال من الناس، لأنك في الحج أين تجد خاليا؟ لكنك لست مشغول بالناس، عقلك لا يفكر في الناس أبدا، فخالينا تحمل معنى خلوه من

الناس يعني منفردا، وخاليا أن قلبه خال من الناس لا يفكر فيهم، الشاهد أن هذه لحظة شعورية واحدة كفيلة لأن تكون سببا لهؤلاء الكرام الذين يظلهم الله تحت ظله.

"ورَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجَمالٍ فَقالَ: إنِّي أخافُ اللَّهَ"، هنا اجتمع أمرين؛ الخوف لأنها ذات منصب، واجتمع الرغبة وهي الجمال، هذه لحظة شعورية واحدة "قالَ: إنِّي أَخَافُ اللَّهَ"، لحظة شعورية واحدة كانت سبب لأن يلحق بهؤلاء لكرام.

"ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقَةٍ فأخْفاها حتّى لا تَعْلَمَ شِمالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ"، هذه لحظة شعورية، فكيف لا تعلم شماله؟ هذا معناه أنه في داخل شعوره استبطن الصدقة وأظهرها بمظهر بيع، شراء، قرض، أو أي شيء، فما علمت شمالهما أنفقت يمينه لأنه استبطن في داخل شعوره أنه يريدها قربى لله، تفريج كربة، إلى آخره، فعملها بيع وشراء، عملها قرض، استخدم فيها فلان أو علان، هذه لحظة شعورية في الفؤاد استبطن فيها أنه يريد القربى من الله خفاء لا أحد يدري عنه، لحظة شعورية كانت كفيلة بأن تجعله مع هؤلاء الركب الكرام. نريد أن نتصور أن الظنون تشغل الشعور.

المعرفة تكوِّن ظنوننا، إذا كنت حقا تظن إذن شعورك مشغول لأن الظنون ليست مجرد معارف، فالمعارف توضع في الأرشيف.

قل لحافظ أسرد علي كذا من السور، أو ما حفظت من سنة النبي ﷺ، أو ما حفظت من كذا فيسرد عليك خير وبركة، بقي السؤال هذا الكلام الذي تحفظه كم شغل في شعورك؟ هذه المعارف تتحول إلى ظنون متى شغلت المشاعر.

لما أقول ما ظنوني لا أقول تساوي معارفي، بل تساوي كم شغلت هذه المعارف من مشاعر. أنت في النهاية موهوب المشاعر حتى تجعلها مركبا تصل به إلى الله، وإلا لا معنى لركائز العبودية، ثم يقال المحبة والخوف والرجاء، هذه أليست هي شعورك؟ هذه الركائز التي تبنى عليها العبودية، أن يكون شعورك مشغول برب العالمين، تعرف الله ومن ثم تظن به الظنون الحق في المواقف.

لا يكون هناك إنسان مؤمن بالله حق الإيمان ولا تجده يدور في فلك علاج القلق لنفسه، هو الذي يذكر نفسه بالمعاني الإيمانية. ليس أن المؤمن لا يقلق، ففي سورة القصص تكرر شعور الخوف لموسى -عليه السلام- هذه مشاعر طبيعية. المعارف إذا شغلت شعور هي التي تعمل لك عملية تسكين للمخاوف، متى ما خفت تطلق المعارف، تعيدها، تكلم

نفسك، تحدثها. نفسي تُفلَت، أعد عليها من هنا ومن هنا، ثم اقرأ مثلا الموقف العظيم للصحابة الكرام لما ذهبوا ليعتمروا وردوا من أعدائهم، كم حصل في نفوسهم من اضطراب، لكن كيف عولج الاضطراب؟ أن الله أنزل عليهم السكينة، فتشعر أنه لن يحل مشكلة نفسك المضطربة إلا أن ينزل الله عليها السكينة، فتعرف ما دواؤك، داء الاضطراب يقابله أن ينزل الله السكينة، فتعرف أن يا رب نزل علي السكينة، يا رب طمئني، هذه السكينة التي تنزل تجعلك تعرف كيف تتكلم مع نفسك، تعرف كيف تحدثها بالأخبار عن الله -عز وجل-.

أعجب ما تقرأ في الظنون في الله سورة الطلاق التي يسميها أهل العلم سورة النساء الصغرى، وأحكام يتوقع القارئ لها أنها ستسرد عليه أحكام متصلة بالطلاق، وهذا صحيح، ولكن ليس بالطلاق فقهيا فقط، إنما كيف تعيش هذه المرحلة في الحياة، وهي واقعة، ربنا يقدرها على بعض الناس لحكمة يعلمها -سبحانه وتعالى- لكن كيف تعيشها، كيف تظن بالله، كيف تخرج من الأزمة، كيف لا تجعلها أزمة وكل الطرفين لا يجعلوها أزمة، ولا الأبناء ما تكون لهم أزمة، ولا تكون معركة.

إلى هذه الدرجة الشرع يريد منك أن تجعل ظنونك في الله دواء لكل أزمة تمر بها. لذلك تكرر في السورة ما تكرر، وإن شاء الله ستكون موضوع

حديثنا غدا نقرأها سويا إلى أن نطمئن أننا فهمنا ماذا يجب علينا أن نظن في الله.

مررنا على مرحلتين، المرحلة الأولى أن المعرفة تأتي بالظنون، وهذه الظنون تشغل المشاعر. متى حقا تظن بالله هذا الظن؟ لما هذه الظنون تشغل مشاعرك فتنفعل بها، لا تخبئها، ليس هذه المعارف صامتة، بل لما تمرض أول ما يفزِع قلبك إلى الله الأول وأنت تثق أنه إذا كان هناك مرض فعلاجه بيد الله، إذا كان هناك ألم فتسكينه بيد الله، ثم تشعر أنه لن ينفعك في هذا إلا الله، وأنه هو -سبحانه وتعالى- الذي يجري الأسباب حتى تقع نتائجها، وأنه يمكن أن تأخذ بالأسباب ولا تقع نتائجه، ويمكن أن تأخذ بأقل سبب فيجعل الله له أثرا عظيما، فلا تلتفت بعد ذلك للسبب، بل تنظر لرب السبب الذي جعل للسبب أثرا، وهذا أصعب الأمور: أن تجعل مشاعرك مع الله وحده.

وهنا نعود لكلام إبراهيم -عليه السلام- سنعود للسورة، وسنجد كلا المرحلتين هنا، وأيضا المرحلة الأخيرة.

ماذا قال إبراهيم -عليه السلام-؟ قال كل هؤلاء الذين تبعدونهم وتشغلون أنفسكم بهم وتظنون بهم هذه الظنون وهم لا يصلحون لهذه الظنون هم عدو لي، إلا رب العالمين. ثم وصف الله بهذه الأوصاف

المشهورة المعلومة، التي تجعل الحياة كلها مختصرة هنا، {الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ} يهدي بدني إلى مصالحه، يهديني للاستفادة من الكون، كل كلمة يقول الناس عنها اخترعنا تدخل تحت هذه الآية، يهدي بدني هذا لمصالحه، يهديني كيف أستفيد من الأرض، من الهواء، من الحديد، كل الكلام الذي تريده تحت هذه الآية.

{وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ} ونريد أن ننتبه إلى (الذي) اسم الموصول يدل على أن هذه الصفة هي الصفة المشهورة التي عرف بها -سبحانه وتعالى- ثم لما تجد الضمير المنفصل هو يدل على الاختصاص، هو وليس أحد غيره.

{الَّذِي خَلَقَنِي} معروف أنه لم يخلقني إلا إياه، وما دام هذا حاصل فيجب أن تعرف أيضا أنه هو وحده الذي يهديني.

ثم {وَالَّذِي} مرة أخرى، هذه الصفة المشهورة المعلومة عن الله، {هُوَ} وليس أحد غيره -سبحانه وتعالى- {يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ} فكأنه مطلوب منك أن ظنونك لا تكتفي بأن يطعمك ويسقيك، بل يجب أن تزيدي عليها (وحده) لأننا لما نراجع مشاعرنا، وهي أهم شيء، فمعارفنا ونحن هادئون ممتازة، سنقول الله وحده يطعمنا، الله وحده يسقينا، لكن مشاعرنا في الواقع أثناء معافسة الحياة (وحده) يحصل لها شيء من التضاؤل، لأن

الهموم التي تحصل لنا في معترك الحياة تضعف شعور أنه وحده الذي يطعم، وحده الذي يسقي لتداخل موضوع الأسباب، وهذا الموضوع يسير في الفهم، فقط لو فهمت الأول والآخر، صعب في التطبيق إذا ما شغلت مشاعرك به.

الله الأول الذي يعطينا السبب ويعطينا نتائج السبب، والله هو الآخر -سبحانه وتعالى- الذي مدّ لك بالعطاء، الأسباب هذه ربنا الأول هو الذي يعطيها، وربنا الآخر هو الذي يعطي نتائجها، فأي سبب يأتيك لا توقفه عند الناس الذين أتوا به، ولا الأجهزة التي أتت به، مدّه حتى تعود إلى الله.

هذا الكلام الذي كان يقال للأطفال أننا اشترينا من الخباز رغيف، فمن أين أتى الرغيف؟ حتى تعود إلى الله، هذه طريقة في التفكير تسهل علينا اسم الله الأول، لأن أي شيء بين يديك يجب أن تكون له سلسلة كلها فيها الله.

رب الأسباب هو الذي يأتي بالأسباب، وهو الذي ينفع بالأسباب، فلا معركة بين السبب وبين رب السبب. لذا إبراهيم -عليه السلام- ما أتى بكلام عن السبب أبدا، لما تتكلم عن عقيدتك ومشاعرك لا تأتي بكلمة السبب، لما تنفعل اعرف أن السبب هذا هو المناولة، كأنه الإناء الذي تأخذ فيه العطاء، لكن العطاء من الله، وهو مجرد إناء فقط. لا تدخل

نفسك في معركة السبب، من لا يعرف الله هو الذي يدخل نفسه في معركة السبب، لا تظن أن هناك تعارض بين السبب ورب السبب أبدا، السبب بيد رب السبب، هل تستطيع أن تقول الله والسبب؟ لا، أبدا! إنما الله هو رب السبب، هو الأول الذي يأتي بالسبب.

هذا لا يعني أنك ستجلس في مكانك، اطمئن، مهما أقنعت الناس، وقلت لهم لا تأخذوا بالأسباب فلن يفعل، فكما وصف النبي ﷺ أصدق اسم للإنسان أنه حارث همام، هذه طبيعتك التي لا يمكن أن تتخلى هنا، أنك حارث وهمام، طول الوقت تفكر وتبذل جهدك أن تحرث، هذه الصفتين التي فيك هذّبها بمعرفة الله.

تحتاج أن تهذّب إقبالك على السبب بمعرفة رب العالمين، لا أن تزيد شحن نفسك تجاه الأسباب، وكل أحد يفكر أن أي كلام عن التوكل على الله، أو اعتقاد مثلما اعتقد إبراهيم -عليه السلام- أن هذا تخدير وتعطيل للسبب يكون ما فهم القضية، القضية أن الفعل فعل الله، وأن الله اختبر الناس بالأسباب. يؤمنون بالسبب أو يؤمنون به -سبحانه وتعالى. فإذا آمنوا به يسر لهم الأسباب واعطاها إياها بسبب وبدون سبب، وإذا وثقوا في الأسباب أوكلهم إليها، واجر وراء الأسباب إلى أن ترى ما تراه الآن في أنحاء العالم كله، ويأتي شيء مثل الجائحة، ثم ينزل الناس

من فوق إلى أسفل، كانوا يملكون الأسباب وصارت الأسباب صفر، لا تساوي شيء. ونعرف كم من هبوط حاد يحصل في الأسواق، يجعل من عنده لا شيء. كل هذه الأشياء التي نراها تقول لك مهما ملكت السبب، لما يشاء رب السبب يجعل هذا السبب لا شيء. لما نعرض على ربنا سيكون علينا شواهد كثيرة من حياتنا، ربنا علمنا أن الأسباب كذا وأنه ما لك إلا التوكل على الله، وأنه لا يعطي إلا الله، لا يشفي إلا الله، كل هذا حضرناه ورأيناه، ورأينا كيف الناس كانوا في حال وأصبحوا في حال، والأحداث التي صارت حولنا كل هذه شواهد علينا أن نزداد معرفة لله.

جرد نفسك وابق على عقيدة سليمة أخبرنا الله بها، ها هو إبراهيم عليه السلام يقول أنا كفرت بكل أحد إلا رب العالمين، وأعتقد أن ربنا هو {الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ}، وأن كل شيء أستطيعه إنما ربنا هداني له، {وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ} فكل شيء تحت أيدينا وموفور عندنا ونحن أهل الصحراء الذين ما كنا نعرف إلا التمر وحليب الإبل أصبحنا أهل كذا وكذا من الأمور {هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ}. لو عرفت المأكولات التي تأتي في الحرم المكي، والحرم المدني من أصقاع العالم، ما تمر على الخاطر أبدا أن هذا الشيء يؤكل في مكة، لكن هو يطعنا ويسقينا.

{وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} هذه أحوالنا، أي تقدم، أي حضارة، أي شيء يحتاجه الناس واستفادوا منه ربنا الذي هدانا إليه، والباقي واضح.

{وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ} هذا الذي يجب أن يشغل العقل، أن هذا اللقاء لا بد منه، وكما قال أبو ذر -رضي الله عنه- وهو على مضجعه في الموت: "من يعمل لهذا المضجع، من يعمل لهذه الساعة، من يعمل لهذه اللحظة"؟ من أعظم ما يمر على الإنسان، ستفكر في ماذا؟ إذا كان شعورك يشغلك في ظنونك في رب العالمين، يجب أن يكون هذا الشعور ناقل لك للقاء. لما نتكلم عن ظننا برب العالمين سنختصر الدنيا في الكلام الذي قلناه {الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} انتهينا من الدنيا، لا بد أن يحصل انتقال في ظنونك للقاء، ما نعيشه هو مرحلة بسيطة، وسيأتي الشيء المهم والأهم، لذلك قال {وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ} هذا هو المهم.

بمعنى أن ظنون الإنسان برب العالمين في الدنيا تجعله يخطو خطوات تجاه رضا رب العالمين، بمعنى لن يكون شغلنا في الظنون فقط أني استفيد من حسن ظني بالله أن يسكن خوفي، وأتقدم في الدنيا، وآخذ كذا، وأربح كذا، وصحة وعافية، هل هذه الظنون فقط في رب العالمين؟

أن يطعمني ويسقيني، وأذهب وأروح وأكسب؟ يجب أن يحصل في الظنون أني سألقاه -سبحانه وتعالى- فيشغل شعوري، نصل على المرحلة الأخيرة، يشغل شعوري لحظة اللقاء بأي وجه سأقابل رب العالمين، بأي عمل سأقابل رب العالمين. ظنك اليقيني أنه لا يمكن أن نترك سدى، لا يمكن أن نترك نعمل الأعمال ونفعل ما نريد، ونتمتع في الدنيا بما تمتعنا فقط وتنتهي القضية، إنما هذا المكان ظني في رب العالمين أنه تحصيلا للأجور، مكان للإحسان، ولذلك {وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ} إبراهيم -عليه السلام- ظنه أنه سيلقى ربه، والشأن هناك أن الإنسان سيحمل معه خطايا، وأن هذه الخطايا تحتاج إلى مغفرة، وأنه يظن في رب العالمين أن يغفر له. هذا الظن في أن يغفر للعبد لا بد أن يكون مبنيا على ماذا؟ ماذا تظن في رب العالمين؟ هذا هو المقصود، أن يغفر لمن؟ هل تظن أن كافرا مكذبا معرضا يغفر له رب العالمين؟ لا! هذا الإشكال الحاصل في مسألة الظن في رب العالمين، نظن بربنا أنه غفور رحيم، ونظن به أنه شديد العقاب، لا يمكن أن يساوي رب العالمين بين المتقين والفجار، لذلك تكرر في القرآن نفي المساواة وأن هذا من سوء الظن بالله.

من سوء الظن بالله أن تظن أن متقي يسير في طريق التقوى في حياته ويخاف ربه سيساوي واحد غير متقي، لا يمكن هذا الظن. هذا الجزء المهم الذي سيكون وراءه طلب الأجور.

عرفت رب العالمين وأحسنت الظن به، إحسان الظن به كان عبارة عن شغل مشاعرك، هذه المشاعر وهذا الظن ستأتي بالأجور.

نرى هذا في سورة فصلت في الآية الحادية والعشرون، الآيات واضحة تشير إلى ظنون أناس باطلة أردتهم في النار بسبب سوء ظنهم الذي سبّب لهم عدم العمل، سبّب لهم الاستهتار، الإهمال، نرى ما حالهم..

سنبدأ أولا أنهم تفاجأوا بموقف أن سمعهم وأبصارهم وجلودهم شهدت عليهم، يسألون جلودهم {وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ} هذا دليل على أن الشهادة تقع من كل عضو من أعضاء الإنسان، وهنا الكلام عن الكفرة الفجرة، يسألونهم لم شهدتم علينا ونحن نريد أن ندافع عنكم {قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.

لنرى حالهم وظنونهم {وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ} يعني ما كنتم تختفون عن شهادة أعضاءكم، ما كان في ظنهم أن هذه الأعضاء ستشهد، من ثم كانوا يتخفون من كل الناس، لكن ما كان في ذهنهم أن يتخفوا من أعضائهم،

وهذا مستحيل. لكن حتى في تفكيرهم وظنهم أنه لا يمكن أن يكون هناك شاهد، فلا كاميرات ولا أناس.. فكانوا يدخلون في الذنوب وعلى بالهم أنهم مختفين عمن يحاسبهم، فهم ما كانوا يستترون من سمعهم ولا أبصارهم ولا جلودهم، ماذا كان في ظنهم عن رب العالمين؟

{وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ} لما أقدموا على هذه المعاصي، {أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ} وهذه هي الأزمة، أن الإنسان رغم أنه بالإجمال يعرف هذه المعرفة، يعرف أن الله معنا، لكن وقت إقدامه على الذنب، سواء كان قلبي أو جارحي، تغيب هذه المعرفة، فكأن الظن هنا يبطل، كأن عقيدته أن الله معه، وأن الله مطلع عليه، تصبح كأنها ليست فعالة وليس لها أثر عليه. ربما في ذنب الجوارح يكون هذا الأمر أقل، لكن في ذنوب القلوب يكون هذا الأمر أعظم.

بمعنى أن حركات القلب الكاسب، الذي يأثم، وهذا أمر يجب أن نتفق عليه، لأن هذا يغيب عن كثير منا، أن القلب يأثم، كما أن الجوارح تأثم. {آثِمٌ قَلْبُهُ} الآية واضحة في الدلالة على أن القلب يأثم، والكبائر القلبية كثيرة، الله يعافينا، لكن نريد أن نجمع بين الكلام عن الكبائر القلبية وبين عدم وجود تفعيل لظننا أن الله مطلع علينا. غالبا الكبائر القلبية تكون عبارة عن أمور لها إحدى صفتين؛ إما أنها تمر بسرعة بحيث لا يركز فيها

الإنسان، أو لا يسميها الإنسان بالاسم الصحيح، يمكن أن يكون جاهل بها.

واحد من سببين يغيب شعورنا باطلاع الله علينا، في الآية {وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ} هذا في الذنوب الجارحية والقلبية، أما الجارحية فواضح؛ يتستر من الناس ثم يفعل الذنب، أو يرتشي في صورة أني أجري لك المعاملة، كأن ربنا لا يعلم ما في نفسه، ويعلم أن الواجب عليه أن يقوم بالوظيفة لكن فعل كذا. والثاني يستغل وظيفته في كذا، هذه هي الأخطار، يكون الإنسان متدين ثم يفعل فعل لا تتصوره، لماذا؟ هو ليس مدرك أنك تلتوي، وكأنك ظننت {أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ}، وهذا واضح.

لذلك الفقه الإسلامي اعتمد في باب مثل باب البيوع مثلا على مسألة غاية في الأهمية وهي الحفاظ على الأخوة الإسلامية، وكل مرة تخدش فيها الأخوة الإسلامية ببيع أو شراء أو غش أو استقبال الركبان أو كذا من الأمور، كل مرة تفعل فيها هذا الفعل ترتكب ذنب عظيم، والناس فيه يظنون أن الله لا يعلم كثيرا مما يعملون. هذه أعمال الجوارح.

{أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ} الاحتيال، الالتواء، الاستفادة من المنصب، الاستفادة من الإمكانيات. مثال يحصل دائما في الحج؛ يذهب

الناس حملة الحج أمانة في عنق الحملة، مع الحملة داعية أو مرشدة، دور المرشد أساسا أن يجعل هؤلاء الناس يحجون كما ينبغي، يعلمهم سنة الحج فيقول رأسي يؤلمني، متعب، مشغول، أريد أن أرمي، ورأينا كثير من هذا. هذا كله يحصل وكأن الإنسان يظن أن الله لا يعلم كثيرا مما يعملون.

الشعور بالأمانة، إحساسك بوضعك، وظيفتك، مكانك، أنت مثلا موجود في البلديات، وهي المسؤولة عن تجرية مصالح الناس في البناء وغيره، مسؤوليتي تسهيل الموضوع للناس، أي مرة أعسر على الناس فقد ظننت أن الله لا يعلم كثيرا مما يعلمون، ربنا مطلع. فأنت ستجد أن هذه من أخطر الأبواب، لا يفعّل ظننا في الله أن الله يعلم كثيرا مما نعمل. لما يقال ذنوب نتصور الكبائر الحسية مثل الخمر والزنا، ولا نتصور التفاصيل الكثيرة التي نعيشها، الأمانات الكثيرة التي محملين إياها، الله يعيننا. بالأمثلة يتضح الأمر أكثر، فكر وستجد الحياة تحيط بنا بمثل هذه الأمور والمواقف.

لنترك هذا ونذهب للأصعب منه، وهي الأعمال القلبية، هذه الأعمال القلبية التي يقع الإنسان في خطأ فيها أحد سببين: إما جريانها، سرعة حصولها، وإما عدم تسميتها بالاسم الصحيح. أما جريانها وسرعة

حصولها فأقرب مثال لنا الحسد الذي أول ما نقوله يشعر الناس أنهم هم الواقع عليهم الحسد وليسوا الحاسدين، ولا حاجة للنقاش في هذا الموضوع. ولا مرة واجهنا أنفسنا أننا يمكن أن نكون الحاسدين، لأن الإنسان في كثير من الأحيان يرى نفسه أحسن من غيره، تبدأ القصة بأنه يرى أنه مستحق للنعم، وتنتهي بأنه يرى أن المنعم عليه لا يستحق، أيا كان الطرف الثاني. ليس شرط في الحسد مباشرة الذي أنت تتصوره من زوال النعمة عن الآخرين، ليس شرط أن يقع أثر العائن، ليس كل حاسد يقع أثره على المحسود بحيث أنه يصبح معيون. الناس حسدوا طائرات في السماء، وحسدوا سيارات في الأرض، ليس شرط كل شيء يحصل، يكون نائم على فراشه متغط بغطاء ويفكر في أحد ويقع في قلبه أنه مرتاح وما عنده مشاكل، ليس شرط أن يكون لذاك مشاكل، لكن هذا سيذنب ذنب الحسد. نحن نربط بين وقوع العين وكبيرة الحسد، كبيرة الحسد إحساس في نفسك أني أستحق النعم، لن ندخل في التفاصيل لأن ليس موضوعنا شرح الحسد، موضوعنا أن نتصور أن الإنسان يمر بأشياء سريعة في الفؤاد وقد لا يشعر بها.

مثلا الكبر، أي أحد تقول له هذه الكلمة يقول أعوذ بالله، والله أعلم بالحقائق، لأن في الحديث "ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهم اللهُ ولا ينظرُ إليهم يومَ

القيامةِ، ولا يُزكِّيهم، ولهم عذابٌ أليمٌ" ومنهم "وعائلٌ مستكبرٌ"، هو فقير ومستكبر، مرض الاستكبار ليست له صفات خارجية، يمكن أن يكون أضعف ما يكون لكنه يرى نفسه أفضل من غيره، أحق من غيره، وبهذا ستجد أن الأمراض القلبية عبارة عن مسلسل، يتسلسل.

الشاهد من هذا الكلام أن الذنوب القلبية يمكن أن تقع أسرع ما يكون، والإنسان كأنه ما فعّل أن الله يعلم كثيرا مما تعملون.

نلاحظ أن الآية {وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ} لم يكن ظنهم أن الله لا يعلم ما يعملون، بل كثيرا مما يعملون، وهي أشياء في باطن نفوسهم، أشياء مثل هذه فيها خديعة، أشياء فيها تخلي عن المسؤولية مثل هذه.

نحن نحدد لأنفسنا مجموعة ذنوب إذا لم نقع فيها فالحمد لله رب العالمين. والقضية ليست هكذا، كلما زدت علما كلمت عرفت أن هذا القلب يحتاج إلى تسليط الضوء عليه وعلى حركته، وعلى مقصده، وعلى مراده، وهذا من ظنك أن ربنا مطلع على ما في القلب.

لذلك لو قيل لك مثلا هل مارست الطغيان يوما؟ مباشرة ستقول لا! لما تقرأ في أول سورة نزلت على الرسول، ﷺ، {كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ}، أن رأى نفسه مستغن. أي يوم حصل منك فيه شعور

بالبطر على قارورة ماء، هذا نوع من ممارسة الطغيان لأنك استغنيت عنها، متى ما رأى نفسه مستغنيا استعمل أسلوب الطغيان. نريد أن نعرف أن معنى الطغيان واسع، متى ما رأى نفسه مستغنيا عن الشيء طغى عليه، بمعنى أن قارورة الماء هذه التي الناس يتعاملون معها، ونحن أهل الصحراء، علينا أن نتذكر لأننا نسينا أنفسنا، هذا الطغيان: نصف القارورة المرمي هنا وهنا، {كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ} فيستعمل أسلوب الطغيان، فيفتح قارورة هنا، ويفتح قارورة هنا، بهذه الصورة. لما تُسأل هل مارست الطغيان؟ لأن الطغيان معناه ضيق جدا وموضوع عند أناس معينين بصورة معينة، أصبح بعيد عنا، وهذا هو خطأ أننا لا نسمي الأشياء باسمها، وإلا فإن أول سورة تنزل في القرآن تدل على ضعف الإنسان، وعلى جهل الإنسان، خلقنا من نطفة، والإنسان جاهل، ولما نقرأ أول الآيات سيتبين لنا هذا، مع ضعفه وجهله لكن أول ما يرى نفسه مستغن عن أي شيء، مباشرة يعامل هذا الشيء بالطغيان.

مثاله، أنت داخل إلى رمضان وتحتاج للخادمة فتتعامل معها بأحسن ما يكون، لما ينتهي رمضان تريد أن تخرجها، لا حاجة للكلام عن هذا! هذه هي مشاعر الطغيان، طالما أنا محتاج أكون أحسن ما يكون، أول ما

أستغني أتعامل بالإهمال، {كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ} أن رأى نفسه مستغن عن هذا الشيء.

تصوّر كيف هذا المعنى منتشر في الحياة ولا نرى أنفسنا طاغين، نشعر أن هذا الاسم لا علاقة لنا به. هذه هي المشكلة الثانية؛ أن هناك ممارسات لا نعرف أن نسميها بأسمائها، ومن ثم لما تأتي في الظن، كما في فصلت، كأنه {لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ}.

ما لنا حل إلا أن يغفر الله لنا خطيئتنا يوم الدين، هذا هو الحل، لأنك تأتي من هنا ومن هنا وتجد المسألة معقدة.

أرأيت "أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ" مئة مرة في اليوم، كما في بعض الآثار، أرأيت نبي الله لا يتركها، أرأيت التوبة في كل زمان، أرأيت سؤال الله، عز وجل، حسن الخاتمة، سؤال الله أن يغفر لنا خطيئتنا يوم الدين، هذا هو الدواء: أن يصلحنا، أن يغفر لنا خطيئتنا. لأننا مهما بذلنا جهودنا توجد مزالق كثيرة أمامنا. من الضروري أن ندعو كما دعا النبي ﷺ الذي هد له بكمال الأخلاق، ورد في الحديث الصحيح أنه كان يدعو "كما حسَّنتَ خَلقي فحسِّنْ خُلُقي" وهو النبي الكريم ﷺ الذي شهد له بكمال الأخلاق. فكوننا لا نلفت أن نطلب من ربنا أن يحسن أخلاقنا مع الناس، مع الله، مع الأرض التي نسير عليها، حتى البهائم التي نتعامل معها،

حتى الحديد الذي نتعامل معه، لأن البطر والطغيان شأن يكون مع كل شيء، لو حسّن الله أخلاقنا احترمنا نعمائه، لو ساءت الأخلاق يظهر أثر الطغيان في كل عمل.

اخترنا الطغيان خاصة لأنه من أكثر الممارسات التي نعيشها على جميع المستويات، صغير كان أو كبير، غني كان أو فقير، و كلنا إلى الله فقراء، لكن المعنى هنا أن الظنون إذا صحّت في رب العالمين كان الإنسان مؤدّب، وإذا تأدب مع الله، ومع ما أعطاه الله، ومع ما خلق الله، ومع ما وهبه الله، أصبح كل شيء حوله باب للأجور، وإذا أساء الأدب الأبواب التي هي أصلا أبواب أجور تنقلب عليه، لأنه إذا صلى وتصدق وصام من على رب العالمين، وإذا تصدق على الناس منّ عليهم، وإذا عمل صالحا افتخر به. سوء الأدب لما يدخل على الإنسان يجعل كل شيء فاسد في حياته. فمن ظنوننا بالله أنه يعلم كل شيء، مطلع على ما في قلبونا، وما لنا مخرج من هذا إلا أن أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين، أسأله أن يتوب علينا، أن يغفر لنا، أن يحسن لنا الخواتيم، أن يؤدبنا بأدب يرضاه عنا، أن نلقاه وهو راض عنا. نسأله -سبحانه وتعالى- هذا ونزيد معرفة به لتحسن ظنوننا، وشاهد حسن الظن مشاعرك المشغولة بالله، وهذه المشاعر إن صحت أصبح كل شيء حولك باب للأجور، وأنت طلبت الأجر في كل شيء،

وفكرت في الله في كل موقف أن ارض عني، أنا أفعل ها لأجلك، صرت تفحص ما في قلبك لا فحص وسوسة إنما الشعور أن الله مطلع، إلى أن تصل أنى لا أستطيع أن أقول إني مخلص لكن أسألك أن ترزقني الإخلاص، لا أستطيع أن أقول إني مؤمن، لكن أسألك أن ترزقني الإيمان، لا أستطيع أن أقول أن خطاي ثابتة لكن أسألك أن ترزقني الثبات. وهكذا يظهر ضعف الإنسان وفقره الحقيقي المطلوب، الإنسان المنكسر الذي دائما على باب الله، المفوض أمره لله، هذه هي الصلة التي تكون دائما صلة الفقراء بالغني، صلة الضعفاء بالقوي، وليس صلة الإنسان الذي يرى نفسه في حالة من الاستغناء عن ربه، فهذه مشاعر خطيرة في النفس. حتى لو لم نصرح بها، يمكن أن تكون موجودة في ثنايا التصرفات.

زيادة المعرفة تأتي -بإذن الله- الظنون، والظنون يجب أن تكون شاغلة للمشاعر، وهذه المشاعر يجب أن تكون باب من أبواب الدخول إلى الأجور. نسأل الله أن يغفر لنا، اللهم آمين.

إن شاء الله في اللقاء القادم يكون تطبيقنا على سورة الطلاق.

اللقاء الثاني

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. بسم الله، توكلنا على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله.

نكمل ما بدأناه في الكلام حول هذا الموضوع؛ وهو الظنون في رب العالمين ومعنى قوله تعالى {فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ}، وكنا أمس قد تداولنا هذا الأمر بشكل عام، وتبين لنا أن الله -عز وجل- في القرآن يحثنا على حسن الظن به من خلال تعريفه لنفسه -سبحانه وتعالى- ومن خلال بيان الحكم في أحكامه، ومن خلال أمرنا أن نمتثل هذه الأحكام ونحن محسنين الظن به. **يعلمنا حسن الظن به في ثلاثة أمور:**

الأمر الأول: أنه يعرفنا بنفسه -سبحانه وتعالى- يخبرنا عن أسمائه وصفاته وأفعاله، وبناء على ذلك أنت تصل إلى حسن الظن لما تعرف من هو رب العالمين.

الأمر الثاني: في أوامره ونواهيه يبين لنا الحكم ويقرنها بأسمائه وصفاته من أجل أن نمتثل هذه الأوامر ونحن به مؤمنين، وله عارفين.

الأمر الثالث: في ضمن أوامره -سبحانه وتعالى- لنا، يرغبنا في هذه الأوامر بوعود، تصديقنا لهذه الوعود مبني على إيماننا بالغيب، وإيماننا بكمال الله -عز وجل- وكمال صفاته.

اليوم نطبق على النوع الثالث وهو أنه يأمرنا بأوامر -سبحانه وتعالى- وهذه الأوامر يرغبنا فيها بما يخبرنا عن كمال صفاته -سبحانه وتعالى- بما يخبرنا عن وعوده لو امتثلنا لهذه الأوامر.

أحسن موطن للتطبيق هو سورة الطلاق.

سنرى من بدايتها كيف تأتينا الأوامر وكيف تختم الآيات.

سنقرأ اليوم من أول سورة الطلاق إلى آخرها وسيتبين لنا. لنرى السورة السابقة لسورة الطلاق، وهي سورة التغابن. في الصفحة الثانية في آخر سورة التغابن سنجد تمهيد لسورة الطلاق {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ} ويمكن أن تحصل هذه العداوة مع وجودهم معنا، أو تحصل العداوة لما يحصل الافتراق، ويتحول هذا البيت الذي كان ساكنا إلى مكان للعداوة. ماذا أمرنا رب العالمين؟

أولا {فَاحْذَرُوهُمْ} ماذا نفعل لنحذرهم؟ في سورة الطلاق سيظهر ماذا سنفعل. ثم رب العالمين حضنا على أمور {وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤)} سيعاملكم بمغفرته، كأن المطلوب عدم التدقيق، وسيتبين ما مقياس عدم التدقيق. كل هذه الثلاثة تتجه بنا اتجاه واحد، وهي العفو والصفح والمغفرة، وليس اتجاهات متضادات،

اتجاه واحد أننا سنغمض أعيننا عن أشياء كثيرة ستتبين في كلمة واحدة مختصرة من خلال سورة الطلاق.

ثم يعيد رب العالمين علينا المعنى قبل أن ندخل سورة الطلاق {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ} اختبار لكم، والواجب أن تنجحوا في هذا الاختبار، وسنرى ما هو النجاح في هذا الاختبار.

ستأتي سورة الطلاق تتكلم عن حالة الافتراق والنجاح في حالة الافتراق. إذا كان النجاح في الافتراق سيكون بالطريقة التي تقولها الشريعة التي سنسمعها في سورة الطلاق، فالأولى النجاح في حالة الاجتماع يكون بطريقة أعلى من هذه. لكنها نفس المعاني في حال الافتراق وفي حال الاجتماع، وسيتبين لنا هذا.

نلاحظ هذه التمهيدين المهمة: أنهم عدو وأنهم فتنة، فتنة تعني اختبار، أنت مختبر بهم وهم مختبرون بك. هذه من الاختبارات في الدنيا، الأموال والأولاد اختبار يمكن أن يكونوا سبب للنجاح والفوز عند رب العالمين، ويمكن أن يكونوا خلاف ذلكن، وسنرى الطريقة التي سنصل بها إلى النجاح، لأن رب العالمين لا يقول لنا هذا الخبر ويتركنا.

يقول لنا رب العالمين في آخر الآية {وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥)} هم اختبار ولما تنجحون في الاختبار ستجدون عند الله أجر عظيم، ماذا

نفعل؟ نلاحظ حرف الفاء يعني يترتب على ما سمعتم أن تكونوا من أهل التقوى، يترتب على ما سمعتم أنهم عدو لكم وأنهم اختبار أن يكون حالكم أن تسارعوا إلى التقوى {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ} قبل أن ندخل سورة الطلاق، رب العالمين يقول لنا {وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦)}.

نحن نتكلم عن حسن الظن بالله، هذه نقطة البداية، وكل هذه الأخبار التي أتت في سورة التغابن كأنها تقول لنا المطلوب منكم أن تعرفوا الحقائق وتتصوروها كما صورها لكم رب العالمين، ومن الخطأ أن تتبنى تصور خاص بالأشياء ثم تتعامل معها بناء على تصورك ثم تسيء الظن برب العالمين.

لما تضع كل آمالك في الزوج، آمالك كلها في الأبناء، لما يكونوا هم المحور بحيث أنك لا تعيش إلا لأجلهم، تفكيرك مشغول بدنياهم، ثم تطول الأيام، وينجحون في دنياهم ويذهبون، فأنت ماذا ستفعل؟ يبقى الإنسان يتكلم كلاما فيه إساءة أدب مع الله، وليس مع الناس.

أنت في بداية الموضوع ما أحسنت التصور كما أُمرت، لا تريد أن تحسن التصور. هل يوجد كلام أصرح من هذا؟ لم نحتج إلى تفسير، بل قرأنا كلام في غاية الوضوح، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، اعرفوا هذه الحقائق

{إِنَّ} حرف توكيد {مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ} المطلوب منكم أن تحذروهم، هم عدو لنا، يعني ستنقلب العلاقة بيننا وبينهم عداوة في الدنيا أو في الآخرة أو ماذا سيكون؟ كل هذا وارد؛ أن تنقلب العلاقة في الدنيا إلى عداوة، أو تنقلب العلاقة في الآخرة إلى عداوة على حسب سيرك وتصرفك.

والآية التي تليها بينت المعنى الثاني وهو أنهم فتنة، أنهم اختبار لك فعاملهم على أساس أنهم اختبار.

نهاية الموضوع: لا طريق إلا تقوى الله، إذا اتقيت الله، ستجد وعود الله حاصلة، إذا لم تتقِ الله، ستنقلب الأشياء التي وضعت فيها آمال، ومتعلق بها وتراها النهاية لك، ستنقلب هذه عليك، ولما تنقلب عليك لا تلومنّ إلا نفسك، أنت السبب أن قلبت هذه الأمور عليك.

سنترك سورة التغابن ونرى سورة الطلاق، وفي سورة الطلاق سنبدأ من آخر السورة للتنبيه، ثم نسير من أول السورة إلى هذا الموطن ويزداد الأمر وضوحا.

معلوم أن سورة الطلاق اسمها سورة النساء الصغرى بسبب الأحكام الموجودة في هذه السورة عن موضوع الطلاق، وأول ما تسمع سورة الطلاق يتبادر في ذهنك أنك ستسمع أحكام فقهية تتصل بالطلاق، وهذا

صحيح، لكن سيتبين لنا إن شاء الله أنها سورة تؤسس حسن الظن بالله وقت قيامك بما أمر الله. تأتمر بما أمر الله وأنت محسن الظن بالله.

نرى هؤلاء الذين ما سمعوا الكلام، الذين ما أخذوا حذرهم، الذين ما نجحوا في الاختبار، في الفتنة، ماذا حصل لهم؟ سورة الطلاق ستخبرنا بذلك. بعد سبع آيات كلها فيها أحكام الطلاق انظر للآية الثامنة.

شيء غريب أن سورة مثل سورة الطلاق، فيها أحكام الطلاق ثم تحصل هذه الانتقالة بحرف العطف للكلام عن قرى كثيرة وصفها رب العالمين بأنها {عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا}. وهذا المعنى يجب أن يدور في الذهن دائما لما تفسر {قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} هذه الآية في سورة النحل يمكن أن يكون تفسيرها هذه الآية في سورة الطلاق.

هذه القرية التي كانت آمنة مطمئنة ما الذي قلب حالها؟ {كَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ}، تريد أن تفسّر {كَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ} فسِّرها بآية الطلاق {قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ} وأمر الرسل الذين أتوا من عند ربهم، فرب العالمين نتيجة أنها عتت حاسبها حسابا شديدا وعذبها عذابا نكرا، يستنكره الناس، لما يرونه يقولون يا الله كيف انتقلت هذه القرية من الأمن والأمان

والرفاهية والطيب وكذا إلى ما هي عليه، الله يحفظ علينا نعمه ولا يجعلنا مثل هذه القرية، الله يرفع عن المسلمين ما وقع عليهم.

لما تجد مثل هذه الآية في نهاية سورة الطلاق وتسمع {وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ} دلالة عن الكثرة، فيجب أن يكون أمر ربها هذا متصل بالكلام السابق في سورة الطلاق، والكلام السابق الذي في نهاية التغابن.

الأسرة الصغيرة التي أخبرنا ربنا أن من أزواجنا وأولادنا عدو، فاحذروهم فلا تتعلقوا بهم، لا تجعلوهم يضلونكم عن الطريق، لا تجعلوهم يفعلوا كذا، لا يكونوا نهاية آمالكم، لا تعملوا لهم وتنسوا الآخرة، حتى في حالة الافتراق والغضب لا تجعلوا غضبكم يحولكم عن تقوى الله، إلى آخره. هذه الأسر الصغيرة هي التي تكون القرية، وهذه الأسرة وهذه {عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا}، ثم هذه الأسرة عتت وأهل الزوج عتوا مع ابنهم، وأهل الزوجة عتوا عن ابنتهم، فصارت هذه الأسر العاتية عن أمر ربها، وهناك واحدة ثانية، وهناك ثالثة، والكل يسكت، الكل يتعاون على نفس الطريقة، نفس النهج، وإذا لم يجدوا من أنفسهم قوة بحثوا عن محامين يفزعون لهم في أن يعتوا عن أمر ربهم، وإذا لم تجد حيلة لنفسها بحثت عن حيلة ممن هم أمكر منها، وهو يبحث عن أحد أمكر منه يحتال له، والمجتمع ساكت.

هذه القرية التي تتكون من هذه الأسر حكمت على نفسها أن يعاملها الله بهذه المحاسبة {فَحَاسَبْنَاهَا} على كل لقمة أكلوها، عل كل نعيم أنعم به عليهم حوسبوا. وهذا -كما ذكر أهل العلم- الحساب يكون في الدنيا ويكون في الاخرة. الحساب الذي في الدنيا مثل آية سورة النحل، أنه {قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ} هؤلاء عتوا عن أمرهم، وهؤلاء عتوا.

هذه الآية أتت في سورة الطلاق، لما يرمي أحد سبب انهيار المجتمعات الإسلامية على غيره، فيبحث عن أحد بعيد أو كبير، إلى آخره، ويرمي عليهم. يقال القضية بدأت من الأسرة، من هؤلاء الطرفين ومن يتبعهم على الامتداد الطويل، من هنا يبدأ الكلام. فإما يكونوا مؤتمرين متقين، وإما يكونوا عاتين، وعتوهم سيسبب هذا الأمر.

هذه الخاتمة تجعلنا لما نبدأ من بداية السورة نكون مركزين، أنه إما أن يكون المجتمع، بجميع أفراده، بالأسرة التي هي نواة المجتمع، إما أن نكون أتقياء، وإما يكون المجتمع ممن عتى عن أمر ربه، ولا يوجد اختيار ثالث. وإذا كان العذاب محبوسا عن أمم، فلن تكون مشاعر الطمأنينة موجودة، لأن هذا الحبس إنما هو حبس مؤقت حتى يفشو الأمر ويصبح هذا هو الحاصل.

هذا أمر من الصعب تصوره، لما تجد -كما نرى من حولنا- أناس كانوا في أمن وأمان ورغد من العيش، ثم انقلبت هذه الأمور كلها عليهم، وحصل لهم ما حصل من حروب داخلية أو خارجية.

كل التصورات في عقلنا تأتي أن ما سبب هذا؟ كل التصورات بعيدة من تسلط العدو وغيره، لكن لا يأتي في أذهاننا أن هذا أحد أهم الأسباب، إلى درجة أن رب العالمين قال عن هذه القرية أنها {عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا}، والعتو ليس بالشيء السهل، حتى أن العتو أعلى من الطغيان. عتت يعني طغت وتجاوزت الحد في الطغيان، هذه الأسرة وأطرافها لما يفقدون التقوى، ويكون مثل هذا مكرر في المجتمع.

لنقرب المسألة علينا لنفعل نحن ما نستطيع، ولا نبعد المسؤوليات عنا حتى ترتاح أنفسنا من تحمل المسؤولية. القرية تحافظ على الطمأنينة، وتحافظ على رغد العيش، وتحافظ على ما أنعم الله به عليها من خلال المحافظة على الأسرة، والمحافظة على الأسرة تكون بإقامة التقوى. هنا لا نقول بعدم الطلاق، فالطلاق أحد شرائع الله، لكن أكيد أن من يتقي في الطلاق، في الفراق سيتقي في الاجتماع. من يتقي وهو مفارق أكيد أنه كان متق وهو مجتمع، وإلا فلن يكون. لا يستطيع

الإنسان وقت الفراق ووقت الأحقاد، ووقت الغضب وشعور القهر أن يتقي الله إذا لم تكن هذه من عادته. بهذا سنقرأها بطريقة مختلفة.

موضوعنا الأساسي هو حسن الظن بالله، هذه السورة تحملك على حسن الظن بالله وقتما تنفذ الأوامر، وحسن الظن بالله ييسر عليك امتثال أمر الله، نحن في هذا النوع؛ أن رب العالمين يسهل علينا امتثال أمره بجعل هذه الأوامر وراءها خير كثير. فإذا أحسنت الظن بالله وأنت تمتثل الأوامر سيسهل عليك امتثالها.

سنبدأ بأول آية، وسنسير بهذه الطريقة: نقرأ آية، آية، ثم ننظر إلى ختام أول آيتين، ونرى كيف رب العالمين يريد منا حسن الظن لنستطيع أن نمتثل الأمر.

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَ اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا (١)}

الآية الأولى واضحة: مجموعة أوامر متصلة بالطلاق وإخراج المرأة من بيتها من بعد الطلاق. نهت الشريعة عن إخراج المرأة من بيتها بعد حصول الطلاق الرجعي، ولن ندخل في كل التفاصيل لكن نقول الكلام المجمل.

نلاحظ أن رب العالمين قال {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ} الأمر بالتقوى سيكون مكرر في السورة، واسم الله سيكون مكرر في السورة، ومن يدخل في مسألة الإحصاء يعرف كم تكرر اسم الله في هذه السورة؛ إشارة إلى عظمة المسألة وعظمة الأمر بتقوى الله. ثم النهي عن أن يخرجوهم بين بيوتهم، على أن يقول رب العالمين {وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ} لما عتت القرية، عتت عن حدود الله، تصور أن هذه القرية عتت عن حدود الله، هذا أخرج المرأة من بيتها وقت حدوث الطلاق الرجعي، وهذا أخرج، وهذه خرجت، وهذه خرجت، الله قال {لَا تُخْرِجُوهُنَّ} وهذا يقول ابنتي لا تبقى عند هذا! والآخر يقول هذه لا تبقى عندي، وهذا يحصل من هذا ومن هذا فتكون القرية كأنها بجملتها {عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا}.

سنسير على الخطين: على شعورك أن مخالفة أمر الله يذهب بالخيرات، وعلى شعورك أن الامتثال بأمر الله يأتي بالخيرات، وأنت تحسن الظن في الله وأنت تقوم بالعمل.

نقول لهذا الرجل ابق هذه المرأة عندك، ونقول للمرأة ابقي في بيتك، واتقوا الله ربكم الذي خلقكم وربكم الذي يرزقكم، وربكم الذي قلوبكم بين إصبعين من أصابعه.

يقول -عز وجل- في مسألة الإخراج {لَا تُخْرِجُوهُنَّ} يقول فيها {وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ}. تقول المرأة أنا لا أطيقه، والرجل يقول لا أريد أن أراها أو أسمع حسها، ورب العالمين يقول {لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا}. كن ممتثلا لأمر الله وأنت محسن الظن بالله، وتعلم أن الأمر أمر الله، انظر إلى حسن الظن بالله!

نفترض أن لك صلة بهذا الموضوع من الخارج وهذه قالت لك أنا لن أبقى، سأخرج، أنت تقول لها اتقي الله، وربنا الله، وربنا الذي بيده قلوب الخلق، ورغبها في امتثال أمر الله بحسن الظن بالله {لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا} الله أعلم بالأمر. لكن لا تخرج إلا على ما أمرت الشريعة من أجل أن نكون أتقياء ونحن في هذا محسنين الظن بالله، لأن الشيطان له دور كبير في صناعة القصة، بحيث أن الإنسان يكون كأن الشيطان يمسك به من عنقه ويسحبه في جميع تصرفاته وتفكيره وقراراته وغضبه! إلى آخره.

نركز أني سأمتثل الأمر وأنا محسن الظن بالله أن امتثالي للأمر {لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا}. هي تقول مستحيل أرى وجهه مرة أخرى، وهذا كلام سمعناه كثيرا، مستحيل أخاطبه بلساني، مستحيل أرد عليه السلام، وهو يقول كلام يشبه هذا، وبعد ذلك يعمرون السنين الطوال.

فأنت تكون محسن الظن بالله أن امتثال أمر الله لابد أن يكون وراءه الخير الكثير، ولا يوجد علاج للناس إلا امتثال أمر الله.

سورة الطلاق تقول لك امتثل الأمر وأنت محسن الظن بالله، أن تبقى في بيتها ليس إهانة لكرامتها، ولا تعريض لها أن الزوج يتعدى عليها، ولا كذا، ولا كذا، إنما {لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا}. وفي قلبك تضمر أنك تريد أن تطيع الله، فلا نحن نخاف من الفضائح ولا من كلام الناس، فهذا شرع، الطلاق شرع مثلما الزواج شرع. نحن لا نقول لا تتطلق، بل نقول تسير على شرع الله، سر كما أمر الله، {لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا} انتهينا من الآية الأولى.

نقرأ الآية الثانية بنفس الطريقة، ونرى ختام الآية:

{فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَ أَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢)}

واضح في هذه الآية أن المرأة فعلت ما أمر الله به، والرجل فعل، وبلغوا الأجل، هنا يؤمر الرجل بمجموعة أوامر: إما أن يمسكها وإما أن يفارقها، ولا يكون قصده الإضرار.

ستلحظ هنا أنه توجد تفاصيل دقيقة لا يمكن لمن هو في خارج الموقف أن يعرف شيء منها، هذه تشتكي وتقول كلام، وهي تشتكي وتقول كلام، وهي تقدم معروف وهو يفهمه خطأ، وهو يقدم معروف وهي تفهم خطأ. لذلك نلاحظ أن رب العالمين هنا قال {وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ} اجعلوها على طريق مستقيم {لِلَّهِ} لأن كل طرف يقول كلام قد لا يكون كذب، فقد نكون في نفس الموقف وكل منا يتصور الموقف من جهة، بطريقته، إذا بقيت تتصور الموقف بطريقتك أنت فقط ولا تفكر في أن ربنا سيحاسبك على كل كلمة، وأن هذه شهادة، وأنها يجب أن تكون لله، ستتكلم كلاما ليس له أول ولا آخر، وربما تقول كلمة واحدة تعرف أنها تصيب مقتل عند الأطراف التي أتت للصلح، أو تصيب مقتل للأطراف التي ستأخذ حقك من عنده. أو في حال حصول الافتراق كل منهما له حقوق، في هذه اللحظات كلٌّ يفكر في نفسه، لذا في سورة التغابن {وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ}، كلٌّ يفكر أنه يأخذ نصيب الأسد من الثاني، أن يذيقه طعم الذي حصل، فرب العالمين يقول {وَأَقِيمُوا} أنتم ستشهدون، هذا الكلام الذي تقولونه بألسنتكم.

فمثلا وتقول انتهت دورتها وهي ما انتهت، أو تقول ما أتت وهي أتت. هم في موقف أنهما يقيمان شهادة، ونؤكد أن هذا ما يخص هذه الأسرة، إنما

يخص هذه الأمة. في كل مرة تذكر أن هذا الموقف الذي يحصل في الأسرة يخص هذه القرية بأطرافها كلها، لماذا؟ لأن موافقة الأسر معناه أنهم قبلوا أن يتعدى الناس حدود الله.

رب العالمين يعظ الطرفين، يقول رب العالمين لنا {ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}. تخيل أن الكلام الذي ستقوله، والكلام الذي سيقوله في هذا الموقف الذي فيه افتراق فقط لأسرة واحدة بسيطة، الله يجعل كلامهم هذا يجب أن يخرج من قلب إنسان يؤمن بالله واليوم الآخر. إذا كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فقل الحقيقة، إذا كان في بطنك شيء لا تخفيه، تريد أن تتخلص من هذا الذي في بطنها حتى لا ترتبط بهذا، أو لكي تنتهي عدتها، أو تقدم، أو تؤخر، أو تأخذ حبوب، إلى آخره، فيه من التلاعب ما فيه من كل الأطراف. إذا كنت مؤمن بالله واليوم الآخر، يجب في هذا الموقف أن يحضر إيمانك باليوم الآخر وتقول الحقيقة.

نحن نشتكي من الطلاق على أنه ظاهرة اجتماعية، لكن لا نشتكي من الطلاق على أنه صورة من عدم تقوى الله في داخله، هذه ليست أسرة تفك، بل قرية تهدم لبناتها.

لذا رب العالمين بشَّر الطرفين، إذا كانت متمسكة وهو تارك التمسك، أو هو متمسك وهي كارهة لهذا التمسك، ربنا يقول للطرفين لا تكذبوا، لا تدخلوا في أي أمور ملتوية، إنما أحسنوا الظن بالله، أن امتثال هذه المرأة وامتثال هذا الرجل لأمر الله، ولما يجب عليهما من إقامة الشهادة لله، سيكون تقواهم هذه سبب لأمر غاية في الأهمية، وهو أن الله سيجعل لهم مخرجا، لأن {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا}.

أحسن الظن في أوامر الله، المرأة تشعر أنها لو قالت الحقيقة لن تجد لها مأوى، الرجل يشعر أنه لو حصل كذا، أنه لن يجد زوجة، سيتشرد أولاده، سيعيبه المجتمع، ستأخذ ماله، سيضطر إلى الإنفاق إليها، إلى آخر هذه المخاوف، ورب العالمين يقول امتثل الأمر، أقم الشهادة وأنت محسن الظن بالله. إحسان الظن بالله أنك لو اتقيت الله سيجعل لك مخرجا. فقط يجعل له مخرجا؟

{وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}

أحسن الظن بالله، أقم الشهادة لله، افعل ما عليك ولا تخش {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}، ليس هذا فقط، وهنا نركز في حسن الظن بالله لأن هذا هو مقصودنا الأساسي.

نحن متأثرين بكونها سورة الطلاق، لكن اجعلها قاعدة عامة، أي أحد يكون أمامه اختيارين؛ اختيار فيه تقوى الله وكأنه مأمول ويبعد عنه، فيصبح صعبا، واختيار سيكون ضد تقوى الله لكن المأمول كأنه سيكون قريب. الاختبار يأتي في هذا العصر في كل شيء، لكن في مسألة مثل مسألة القرض الربوي، يقول لا حل عندي إلا أن أقترض قرضا ربويا، نقول لا، {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ}، لو أخذت قرضا ربويا، الشيطان يمثل لك أنه سيكون فرج ومخرج، وهو سيكون عسر ما بعده عسر. أنت تشعر أن مأمولك بعيد، أحسن الظن برب العالمين، إذا حصلت منك التقوى، لا يمكن أنكم تتقون ويضيق الله عليكم، لا يمكن أن تتقوا الله وتمتثلون أمره وتقولون الصدق ولا تخالفون الأمر، بعد ذلك يضيق الله -عز وجل- عليكم بل {مَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا} ليس هذا فقط، {وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}.

نتكلم عن موضوع الربا، يجعل لك مخرجا يرضاه الله، مخرج من هذه الأزمة التي أنت فيها بدون أن تقع فيما يغضب الله، يغنيك عن أن تقع فيما يغضب الله، سيجعل الله لك مخرج، لكن ليس شرط أن يكون المخرج على الصورة التي ترسمها أنت، تشعر أنك يجب أن تتاجر، ولنتاجر يجب أن يكون لك رأس مال، وليكون لك رأسمال يجب أن تأخذ

قرضا ربويا، ربنا يجعل لك مخرج ولا يجعل هذه التجارة هي طريقك، ويأتيك شيء آخر بعيد عن التجارة وترزق من ورائه. فلا تظن أن المخرج هو الوصف الذي تصفه، ليس المخرج على ما تريد، المهم أنه يجعل لك مخرجا، ويرزقك من حيث لا تحتسب.

ولنفكر في {لَا يَحْتَسِبُ}، لنفكر في هذا الظن الذي تظنه في الله لما تمتثل لأوامره. هذا الرجل وهذه المرأة عاشوا سنوات وانتهت الحياة بينهم، فهي تفكر دائما أن أولادها سيفسدون، سيحصل لهم كذا لما يحصل الطلاق، لو سرت على الطريق المستقيم وفعلت ما تستطيع وما جعل الله -عز وجل- لهذه الحياة استمرار، ما المطلوب؟ اتق الله في كل الخطوات، النتيجة أن الله يرزق مرشدين لهؤلاء الأولاد، أصحاب لهؤلاء الأولاد، هداية تنزل من السماء عليهم من حيث لا تحتسب. نحن نحدد أن الأب سيكون هو الصلاح، لكن الله يرزق هذ الصلاح من حيث لا تحتسب.

وفكر في كل أمر بهذه الصورة، أن لنا حساباتنا، هذه الحسابات تجعلنا لما نهم بامتثال الأمر، نقول لو فعلنا هذا ستفسد هذه الحسابات، حتى لو كانت حسابات خير.

مثلا تقول أنا سأصر على هذا الرجل أن نسكن بجوار مسجد على أنه هو سيقوم للصلاة وهم يقومون للصلاة، وأنت تصر وهو لا يقبل، أو مثلا ما أتاكم الرزق بهذه الطريقة، بعدتم، فتقول أنا دعوت رب العالمين أن أكون بجوار مسجد وبعد ذلك أتاني العكس، وسيأتينا جواب لمسألة دعوت، لكن أنت تمتثل الأمر وتطلب من رب العالمين الخير، وتنتظر أن يعطيك من الباب الذي يختاره العليم الحكيم. حتى الباب الذي نرزق منه باب ليس نحن الذين نحسبه {مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}، كم وضعت في حسبانك قل والله له أبواب لا يستطيع الناس حسابها.

لما امتثل الأمر التقوى نموذج امتثال الأمر. كل مرة ربنا يقول لك اتق الله، يعني امتثل أوامره واجتنب نواهيه، في كل مرة تمتثل الأمر، أحسن الظن أن امتثالك الأمر سيسبب لك أن يجعل الله لك مخرجا، أن يرزقك الله من حيث لا تحتسب.

مقياسها معتمد على قدر الإيمان، بمعنى أن هذا يتقي على قدر إيمانه، وهذا يتقي على قدر إيمانه، كلما قوي الإيمان كلما زادت التقوى، فلما يأتي أحد لأمر فيه اشتباه وهو ضعيف الإيمان، سيرى أن هذا الموضوع الذي فيه اشتباه مخرج له، ولما يقوى إيمان الإنسان حتى هذا الذي فيه اشتباه هو يكون حريص على أن لا يدخل فيه، هو أن الأتقياء

يختلف تقواهم على حسب درجة إيمانهم، ومن ثم معاملة الله تحصل للعبد على حسب درجة إيمانهم.

ستختم الآيات بهذا الأمر، سيأتي الخطاب للمؤمنين بالله كيف أن إيمانهم ينفعهم.

نحن نتكلم عن حسن الظن وحسن الظن هنا أنك كلما امتثلت الأوامر، أتتك البشارات من رب العالمين، لا يمكن أن تتقي الله وتخافه وتمتنع عما منعك الله ثم يخذلك الله، متى ما اتقيت أتتك هذه الوعود. لذلك كان ابن عباس يقول: "لَو انطبقَت السّماء عَلى الأرضِ لَجعل الله للمُتقِين فُتحات يَخرجون مِنها". ابن عباس مؤمن بهذه الآية {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا}، وهذا من حسن الظن بالله، فلا يمكن أن تمتثل أمر الله وتتقي الله ويكون تفكيرك في رضا الله ثم لا يجعل الله لك مخرجا، بل سيجعل لك مخرجا.

لكن المستعجلين، اللاهثين على الدنيا التي يريدون تحصيلها مع الدين، كأن الدين مجرد ستار ومن ورائه الدنيا تجري في القلب، يريد الدنيا، فلما تقول له اتق هذا ولا تدخل في هذا، فيقول إذن لن أكون مثل غيري ممن يذهب ويشتري ويفعل، نقول هذا لا يصح، إما أن تختار أن تذهب مع أهل الدنيا ولا تكذب على نفسك وتقول إنك من أهل التقوى،

إما أن تدخل باب التقوى وتمتثل الأمر ثم تأتيك أرزاق من حيث لا تحتسب.

إذن {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا} من كل أزمة يمر بها.

هل وصف التقي مطلق؟ أو مجدد في موقف معين؟ الإنسان المتقي يستعمل أوامر الله ونواهيه قائد له، وهذا سيظهر في آخر السورة. بمعنى أنه لا يقدم على شيء إلا ويقول هل هذا يرضي الله أو لا يرضيه، هذا هو المتقي.

مثلا بنيت وأردت أن تدخل الكهرباء وذهبت إلى شركة الكهرباء فقالوا سندخله، ومرت أشهر ولم تدخل الكهرباء، فينصحك أحد يقول ابحث عن أحد تعطيه النصيب فتسأل فورا كم يأخذ؟ لما نعطي المال وتنتهي المسألة نقول قد تكون هذه رشوة! عليك أن تفكر في هذا الموضوع مبكرا وليس بعد أن تصل، وهناك مخرج شرعي هنا، نحن فقط نتكلم عن التفكير، وليس عن الإفتاء في مثل هذا الموقف. قبل أن تدخل في الأزمة وتذهب وتتسارع وتعطي ثم لنا تنتهي تقول يمكن أن تكون أو تكون؟ من البداية حتى لا تسير إلا على نور. قبل أن تدخل أي شيء فكر في موقف الشريعة منه، ثم إذا وجدت أتقياء يفتونك افعل ما يأمرك الله به. نفترض أنه لا يصح أن تدفع لأي أحد، هل تقول انتهى موضوع البيت؟

لا، {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا}، نحن مؤمنين بهذا. هذه التقوى تكون سلوك عام، أسلوبك في التفكير التقوى، لا أريد أن أدخل باب لا أعرف حالته، أسلوب عام، ثم في كل موضع من المواضع تدخله وأنت متق، وتقول أنا سأدخل كما أمرني الله -بعد أن أستفتي من عندهم علم- وأفعل ما أمرني الله وأنا مؤمن أن الله سيجعل لي مخرج، حتى لو ضاقت عند هؤلاء هي واسعة عند رب الأرض والسماء.

{وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)}

نرى هذه الآية كم تعطينا، ستظهر لنا مسألة العجلة، عرفنا {مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} امتثل أوامر الله وأنت متأكد أن ربك سيجعل لك مخرج، ومهما فعلت وشعرت أنك ضحيت أو أعطيت أو فقدت أو خسرت لما اتقيت، أو تأخر عليك هذا البناء أو خرجت من هذا المشروع أو الناس فازوا في الدنيا وأنت لم تفز، مهما حصل اعرف أن ربك يرزقك من حيث لا تحتسب، لكن الموضوع طال قليلا، نقول {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} سيكفيه ما أهمه، أنت فقط كن مستبشر أنك توكلت على الله، فكيف تعتمد على الله وتضيع؟ لن تضيع، وهنا تنفعك تجارب الآخرين، وينفعك أنك كلما تقدمت في العمر تكون في ذاكرتك أمور مرت عليك.

بمعنى أنت اتقيت الله في أمر وغيرك ما اتقى الله، هو نجح وأنت بقيت في مكانك. ثم في الظاهر أنه سبق وأنك أنت في مكانك، ثم لما طالت الأيام هو حصل له، وأنت بهدوء تصل إلى المراد وترتفع، وهو ارتفع ثم سقط. هذه التجربة معك أو مع غيرك لا تخرجها من ذهنك، لا تغيبها من عقلك،

دائما تذكر أن الله -عز وجل- يجعل للعباد مخارج يختبرهم في إيمانهم، ما دمت توكلت على الله فهو حسبك كافيك ما أهمك، وهذه مشاعر يجب أن تحسن الظن بالله فيها والله سيكفيني الله، أليس هو ملك الأرض والسماء؟ كيف لا يكفيني؟ يكفيني ما أهمني، لكن كل ثقتك في الله.

مشكلتنا منازعة الثقة في رب العالمين، لذلك ستختم السورة بالآية المشهورة التي نكررها دائما، وسنرى لماذا ختمت بهذه الآية العجيبة.

أنت مستعجل، هذا شأنك! الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام ليعلم أن أمر الله ليس على عجل، لذلك رب العالمين قال {إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ} بمعنى أنت مستبطئ النتيجة، تشعر أنك لو سرت في هذا الطريق الحلال، بعت واشتريت، والنتائج قليلة، وهؤلاء يرابوا ويجروا، {إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ} فلا تستعجل.

أيضا هناك معلومة مهمة جدا، دائما تكون على بالك وأنت متقي الله ومنتظر النتائج، هذه المعلومة {قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} كل شيء له ميقات، كل شيء له موعد. أنت تشعر أنك في عصر السرعة فتريد أقدار الله وعطايا الله تكون على هوى الناس؟ وهذا أحد العيوب الخطيرة في ظنوننا في الله. نذهب على عرفة وندعو، نريد أن تعود إلى البلد نجد الزوج صلح حاله، الأولاد استقاموا، صلوا في المسجد، الخادمة أصبحت خاتم في الأصبع، كأنها أسحار! كل هذا باطل، لما ندعو ربنا يعطينا لكن اجعل في بالك هذه الآية، أولا {إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ} وثانيا أن ربنا جعل لكل شيء قدر، وحاول أن تفكر بهذه الطريقة. لذا من عيوب الداعين أنهم يستبطؤون إجابة الدعاء.

سنتكلم عن مثال يشكل علينا دائما وهو صلاح أبنائنا. تدعو في هذه السنة في عرفة، تصور ابنك والهداية، تدعو وأنت تريد أن ينتقل ابنك إلى الهداية فورا، وتستعجل، لما تعود تقول دعوت في عرفة وهذا يكفي، في قيام الليل وفي السجود لا تدعو، تتركه على عرفة. الحقيقة أن استبطاء الدعاء يعمل قطع. بمعنى أنك لما تدعو المرة الأولى والمرة الثانية، هذا الولد ربنا يهيئ له أسباب، كان عنده أصحاب سيئين، حصلت أقدار الله فكرهم، سار خطوة للأمام. ثم ربنا رزقه صاحب طيب، سار خطوة

أخرى، هذا يأخذه معه إلى الصلاة، لديه معاصي لكنه بدأ يحب الإيمان، نحن نريد منه أن يصبح إمام مسجد فورا! ما الذي يحصل من الوالدات؟ يتوقفون عن الدعاء فيعود إلى ما كان عليه. من أسباب عدم إجابة الدعاء التعجل فيه، يقول الرجل دعوت فلم يستجب لي، وكأنك لا تعرف أقدار الله، وربنا يقول: {إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}، ستسير أقدار، أولا ينفك من أصحابه، ثم يحب أصحابه الآخرين، ثم يحب الإيمان، وهكذا خطوة، خطوة. قد لا تعيش الباقي، إلى أن يصل للإيمان والتقوى واليقين الذي أنت تأمله، والذي ما وصلت إليه إلا بعد حصيلة من التجارب والمواقف والأحداث ودعاء والديك لك، ودعائك لنفسك وعمرة بعد عمرة، وحج بعد حج إلى أن انكشفت لك وجوه الحقائق، قد لا تصله إلا بعد أن تذهب إلى ربنا، وهو ربنا يدبره بعد ذلك ونحن متوكلين عليه، المهم ألا تنقطع، لكن هذا من إساءة الظن بالله، أن يقول الإنسان دعوت فلم يستجب لي. لا تقل هذا، أنا أتقي الله، أنا أأتمر بأمر الله، أنا أدعو كما أمرني الله، وأنا كلي أمل بالله، وأعرف أن أحداثا كونية تحصل لتحصل الاستجابة لهذا الأمر.

ربنا يدبر الكون تدبيرا يقرب لك هذا البعيد، لكن لا تتعجل، ولو كان كل إنسان سيجاب له الدعاء على صفة الوقت والحين، ما كان أحد كفر بالله! لكنه اختبار.

فأحسن الظن بالله وكن مؤمنا أن الله يسمعك ويراك، وأنه على كل شيء قدير وبكل شيء عليم. لا يدخل في نفوسنا سوء الظن من باب لا نشعر به. لأننا لما نسأل أنفسنا هل نحن محسنين الظن بالله؟ نقول نعم، لكن كم من أزمة كانت، كبيرة أو صغيرة ما فزعنا فيها إلى الله، والواجب أن يكون هو الأول في كل فزعة قلب، في كل أمر مر عليك. لو أنت محسن الظن بالله أن التدبير تدبير الله، والأمر أمر الله، ما يمر عليك أمر يضيق عليك إلا وتفزع فيه إلى الله، الشيطان يشغلك ولا ننكر هذا، لكن أول ما تتذكر اشعر أنك أذنبت أنك ما فزعت إلى الله، اشعر أنه خطأ أن أكبر الموضوع، يكبر في رأسي وأخاف منه وأنسى أن لي رب أوصافه كذا وكذا. ربنا يقول لهؤلاء الذين سيفترقون، الذين يمكن أن يواجه الفقر أحد الطرفين أو كلا الطرفين، الذين تحيط المخاوف بالمستقبل المجهول لهم، يقول لهم اتقوا الله وربنا سيعطيكم، وربنا سيرزقكم من حيث لا تحتسبون، حتى لما يمتثلون الأمر يمتثلونه وهم محسنين الظن بالله، ولا يصبح عندنا اكتئاب ما بعد الطلاق للطرفين. كل هذا الكلام ليس عندنا

لأن كلا الطرفين يعرفون أن وليهم الله الذي يتولى شأنهم، فلما يمتثلون الأمر يمتثلونه وهم محسنين الظن.

كم قال رب العالمين لهما وقال للأمة كلها أحسنوا الظن فقال لهم {لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا} ثم يقول لهم {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}. بعد كل هذا الكلام من يؤمن بالله ويسمع هذا الكلام ويكتئب؟! من الذي يسمع هذا الكلام ويقول ربنا سيتخلى عني وسأكون في اكتئبا ووحدة ولن أعوض وأبنائي سيضيعون؟ هذا من يتوكل على نفسه، أما من يتوكل على الله فهو حسبه.

ختام الآية {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا} وإن كنت ترى أن الأمور عسيرة وصعبة، لكن كن متق لله سيتحول هذا العسر إلى يسر. أحسن الظن بالله وامتثل أمر الله اتق الله، سيتحول كل عسير إلى يسر، سيجعل الله لك من أمرك يسر بعد أن تصورته عسيرا.

مثلا تكون هي متمسكة وهو ليس متمسك فتقول كيف بعد عشر سنوات أو خمس عشرة سنة أترك بيتي، أترك مكاني، اترك أولادي وتقول لن أستطيع أن أعيش، أو هو يقول لن أستطيع أن أعيش، ويشعر

الإنسان أن المرحلة القادم عليها مرحلة لا يمكن أن يتعايش معها، ورب العالمين يقول سيجعل الله لك هذه المرحلة يُسر، امتثل الأمر واتق الله ولا تضارب ولا تحارب ولا تقل من أين نأتي بالأرزاق؟ نأتي إلى المحاكم وتطلب هي ثلاث أرباع راتبه، بحيث أنه تعلي إلى الأعلى حتى لو خفضوه تأخذ نصفه، بحيث أنه لا يستطيع فتح بيت جديد، ولا يستطيع أن يعيش، وتقول له أنت تستحق ما أتاك! أنت الذي فعلت في نفسك، وهناك من يؤيدها، على أساس أنها تسترد شيء من حقها! والقرية كلها ستدخل في هذه الأزمة، والقرية كلها ستكون {عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا} في هذا الموقف ابتداء بمن شهد معها وحامى عنها، وانتهاء بمن نفذ هذه الأمور وأوصلها إلى هذه الدرجة.

لو اتقيت الله سترى الأمر كأنه عسر، لو وضعت الحقيقة ستجد أنها تسكون في ضيق من أمرها، لكن الحقيقة لا تحتاج إلا إلى كذا وكذا، وتشعر أنها ليس مثل لما كانت عنده وكان هو يصرف، فهي لا تريد أن تعيش عنده وفي نفس الوقت تأخذ كأنها عنده، فهي تشعر أن هذا التغيير مرفوض عندها في الحالة المالية.

فالنتيجة أن رب العالمين يقول لها اتقي الله وقولي الحقيقة وربنا سييسر لك ويبارك لك ويسهل ك الأمر، ونفس الكلام عند الرجل الذي

يفرغ أرصدته ويحول أمواله إلى أحد آخر ويفعل ويدعي كذا، كل هذا الذي يحصل حتى في النهاية لا يعطيها ما تقوم به حياتها، هذه وهذا نقول لهم اتق الله وسيجعل الله لك من أمرك يسرا، سيهون عليك الأمر وسيخرج من عندك بأيسر ما يكن. ومثله الآية التي تليها:

{ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (٥)}

نلاحظ تعظيم هذه الحدود، مسألة الطلاق والفراق وما يتبعه، إلى درجة أن ربنا جعله أمر {أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ}! مع ذلك نحن نفعل هذه الأوامر ونحن محسنين الظن أنه {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ} ليس فقط في الدنيا، {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا} سيلحقك الخير في الدنيا والآخرة، في الدنيا قبل الآخرة، لكن الآخرة، في تفكير المؤمن أهم من الدنيا، لأن ما أسرع الدنيا وما أبقى الآخرة.

لما تأتمر بأي أمر اجعل هذه الوعود أمام عينيك، كل مرة تتقي فيها الله في عملك، في خبرك، في الأمر الذي تأتمر به، في النهي الذي تنتهي عنه، كل مرة ذكّر نفسك بهذه الوعود التي وعد الله بها المتقون، فيكون في الدنيا وفي الآخرة، يكون عملك صادر من حسن ظن بالله، بحيث أنه لا يكون في قلبك أنك لو امتثلت الأمر ستُظلم، سيذهب حقك في الدنيا،

لأن كما هو متداول عند الناس أن الإنسان الطيب الخلوق، الذي يتعامل بما أمرت به الشريعة، هذا ذاهب حقه، هذا من سوء الظن بالله! لأن بهذا الإنسان يعتبر أن أوامر الله سبب لخسارته.

رب العالمين منّ على الخلق أمرهم بأوامر، حتى لو استقبحوها فالله سبحانه وتعالى جعل للمؤتمرين بها مكانة في الدنيا والآخرة.

انظر للموقف البسيط الذي حصل مع أبي بكر -رضي الله عنه- هذا الرجل الذي بقي كأنه يخاصمه، النبي ﷺ أخبر عن الصورة الغائبة، الشيء الذي في الغيب، أبو بكر -رضي الله عنه- كانت معه الملائكة تدافع عنه طالما كان ساكتا. لما تكون مؤمنا بالغيب، تكون مثل هذه الصور الغائبة والأحداث الكونية العظيمة التي أتت الأخبار عنها في القرآن والسنة على بالك.

وهنا نستحضر أن رب العالمين أمرنا بالإعراض عن الجاهلين، من الجاهل في هذا الموقف؟ هنا الجاهل الذي سيقول لك لماذا لم تأخذ حقك؟ لما تصمت وأنت متصور الحدث الكوني الحاصل، الغائب، متصور الأجر المنتظر من هذا السلوك، منتظر أنك إذا اتقيت الله وقلت الحقيقة ولم تعلُ على الرجل، وما وضعت أرقاما فلكية، ولا كذبت في

شيء، أن ربنا سيجعل لك، وسيجعل لك. لو فعلت هذا الفعل كان هذا شاهدا على إيمانك، هذا هو الأمر المهم.

والأمر الثاني كانت عطايا الله ستنزل عليك، عطايا الولي لأوليائه لأنك في حالة ولاية، كونك ترى مشهدا لا يراه الجاهلون، لذلك اعرض عن الجاهلين بالله، اعرض عمن لا يعرف الأجور عند الله، اعرض عمن لا يحسن الظن بالله، وهؤلاء ما أكثرهم في الحياة. هؤلاء الجهال الذين المفروض أن تعرض عنهم، لأنك تكون متقدم متصور الحدث الكوني، متصور وجود الملائكة، وهو يقطع عليك هذا كله لأنه جاهل، ما عنده علم بهذه الأمور.

نرى الآية السابعة:

{أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ (٦) لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧)}

نلاحظ أن الآيات تختم بما يساعد الإنسان على إحسان الظن بالله حال قيامه بالأوامر. هذه هي الآية الأخيرة التي نحن بصدد الكلام عنها في الأوامر. هم افترقوا، وأتت مسألة الرضاع، وافترقوا في مسألة الرضاع ورب العالمين أرشدهم ماذا يفعلون، إلى أن وصلنا إلى الإنفاق، سينفق كل واحد مما وسع الله عليه، ما عنده ينفق منه، من كان عنده كثير أو قليل، الإنفاق على من لا يستفيد منه، فالمرأة ذهبت وأخذت الأولاد، ففي النهاية هو خاسر، ذهب الأولاد وأمهم وهو ينفق عليهم، رب العالمين يقول انفق واعط وقم بالحقوق و{سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا}، كانت أرزاقك ضيقة أو وساعة، خاصة من أرزاقه ضيقة، يقول أنا أرزاقي ضيقة ويطلب مني أن أنفق عليهم، فكيف أقوم بحياتي بعد ذلك؟ فيقال حال امتثالك للأمر وقيامك به وإعطاء هذه المرأة وأبناءك حقهم، الله سيبدل حالك وسيجعل بعد العسر في هذا يسر، لكن أهم شيء أن تتقي الله وتمتثل أمر الله.

بهذا وصلنا إلى نهاية الكلام عن موضوع الطلاق. وتبين لنا أن رب العالمين يدفعنا في هذه الحالة العسيرة التي يكون فيها شح النفس إلى امتثال أوامره -سبحانه وتعالى- واجتناب نواهيه بما أمر من التقوى ونحن محسنين الظن أن كل امتثال وراءه خير من رب العالمين. هذا وإن كان في

مسألة الطلاق فهو في الأوامر والنواهي على وجه العموم. وإن أريد في هذا السياق الكلام عن المنفصلين الذين كان الطلاق خيارا عندهم، لكنه عام في كل حياة الإنسان، متى ما قابلت أمر من أوامر الله أو نهي من النواهي واتقيت الله، فلتبشر بما بشرك الله به في هذه السورة.

لو حصل العكس وهذه القرية كل منهم فعل ما يخالف، ما الذي سيحصل؟

{وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا (٨)} نلاحظ أن اسمها القرية، سيحصل لهم الكلام الذي قلناه في البداية، أنها ستحاسب حسابا شديدا وستعذب عذابا نكرا ثم {فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩)} بدلا من أن يكون عاقبة أمرها يشرا صارت عاقبة أمرها خسرا.

لو أن هذه الأسرة وهذه الأسرة امتثلت ما أمر الله، وهؤلاء الناس وهؤلاء الناس امتثلوا ما أمر الله وتحول الأمر من العسر إلى اليسر لكانت هذه القرية بخير، لكن نتيجة أنهم ما امتثلوا الأمر وقع العقاب على الجميع وكانت عاقبة أمرها خسرا، هذا في الدنيا.

في الآخرة {أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا}.

سمعت هذا الكلام وعرفت القرى وكن متذكر القرى في التاريخ الحديث وفي التاريخ الماضي، تذكرهم ولا تنس في التاريخ الحديث كم من قرى وفي التاريخ الماضي كم من قرى، وقبل أن يأتي الإسلام كم من قرى وكلها لها نفس الطريق؛ أنها تأتيها أوامر رب العالمين فهم يحسبون حسابات دنيوية، لو تركنا الربا لن نجد تجارة، لو تركنا التداوي بالحرام لن يكون هناك طب، لو تركنا الرشوة لن يكون هناك أعمال تُسيَّر. الشيطان حدد لهم أن مصيركم إلى الهلاك الدنيوي إذا ائتمرتم بأمر الله، فكانت النتيجة أن {عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا}.

أنتم عندكم عقول {فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} أولو الألباب هم الناس الذين استفادوا من تجارب غيرهم، لماذا أتى الكلام هنا عن أولي الألباب؟ لأنه كم من قرية حصل لها كذا وكذا. أنتم يا أولو الألباب اعتبروا بغيركم، وحققوا في سبب هلاك الأمم، في سبب هلاك القرى، ربنا قال لكم سبب الهلاك، لكن تتبعوا في الواقع وكونوا صادقين في رصده، لأن من المشاكل التي نعيشها أننا لما نرى المصائب التي تقع على الأمم، والقرى، دائما نشتت في سببها، ما سبب هذه المصائب؟ كل يذهب بنا شمالا ويمينا ويعطينا من كيسه كلام يجعلنا نشعر أنه ما عندنا مسؤولية وأن هذه أشياء فوقنا وأبعد منا، وليست تحت يدنا.

من يقول الحق هو رب العالمين، قال لك رب العالمين هذه القرى كيف ذهبت وهي محيطة بنا، والناس كانوا نائمين على أنهم أهل بلاد، أصبحوا وهم مشردين بلا بلاد. هذا ما نراه وعشناه سنحاسب عنه يوم القيامة، يوم القيامة سنحاسب عن أننا رأينا مثل هذه الأشياء وما اعتبرنا، وجعلنا الأمر كأنه لا يخصنا، كأن ليس من مسؤوليتنا العودة لعودة الجميع. عودة أهل الإيمان، ولو جزء منهم، عاد إلى الحق أعاد الله على البلاد والعباد النعم. الأمر واضح كالشمس، وكلام رب العالمين لا يحتاج إلى ترجمان، يحتاج أن نقرأه بحضور قلب، لأننا في كل ما قرأنا الآن ما فتحنا كتاب تفسير، فقط قرأنا كلام الله وعرفنا وعود الله وكيف اتقوا وسيكون كذا وسيكون كذا، وهذا مما يسبب حسن الظن بالله وقت ائتمار الأوامر.

نرى الخطاب لأولي الألباب، يقول لنا رب العالمين {فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا} أنت مؤمن، فيجب أن يكون عندك لب {قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠)} فما بكم منصرفين عنه، لماذا تنصرفون عن الذكر وتطلبون من يحلل لكم الواقع وهنا تحليل الواقع بوضوح؟!

ونلاحظ البدل: {قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠)} ثم رسول، هذا الرسول وسنته وتمثله بالقرآن وحاله كان يكفيك، يكفيك أن تسمع كلام الله، تسمع كلام الرسول ﷺ وتسير على الطريق، كل ما يمر به الخلق له نماذج

في حياة النبي ﷺ. تعرضت لأذى أهل الكتاب وكلامهم؟ النبي ﷺ تعرض لهم، تعرضت للمنافقين وأذاهم؟ النبي ﷺ حصل لهم، كل ما حصل لك، النبي ﷺ حصل له في زمانه كذا وكذا. الرسول ﷺ النموذج الأكمل الذي كان خُلُقه القُرآنَ. سئلت عائشة -رضي الله عنها- عن خلق الرسول، ويقصد بخُلقه كيف كانت حاله؟ كيف كان روحه الشريفة، كيف كان تمسكه؟ فعائشة -رضي الله عنها- أعطتنا الخلاصة، كان خُلُقه القُرآنَ، كان ترجمانا للقرآن. فالناظر للقرآن والناظر إلى مسلك النبي ﷺ سيعرف كيف يفسر الأحداث.

نصل إلى النهاية، الكلام عن النبي ﷺ وعما نزل عليه وكيف يجب أن يكون نورا {رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا (١١)} هذه الآية تحتاج إلى بيان، لكن في النهاية عليك أن تعرف أننا في ظلمة والله أنزل الكتاب وأرسل الرسول حتى نخرج من الظلمة إلى النور، وأعظم النور إحسان الظن بالله وامتثال أوامره ونحن محسنين الظن بالله، لا تمتثل الأوامر وأنت تشك في الله، لا تشك في عطائه، لا ينقص

رجاءك فيه، تمتثل وأنت متأكد أن هذه التقوى حصيلتها خير لك في الدنيا وفي الآخرة.

حتى تعرف كم هذه السورة لها صلة بحسن الظن بالله، هذه الآية الأخيرة توجب علينا حسن الظن بالله، لأن حسن الظن بالله معتمد على ثقتك في الله أنه بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير. سنؤسس معنى مهم في مسألة حسن الظن بالله.

حسن الظن بالله معتمد على إيمانك أن الله بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير.

هذا نأتي له بمثال نقربه لأجل أن يقترب للأذهان: لو علمت عن أحد في صحراء، أنه على وجه الهلاك، وعندك قدرة على إعانته، ماذا تظن في نفسك؟ تظن أنك ستعينه ما دامت اجتمعت لك صفتي العلم والقدرة، هذا ظنك في نفسك.

فالسؤال من بداية اللقاءات {فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} الذي له كمال القدرة وأحاط بكل شيء علما، ظننا حسن، أنه -سبحانه وتعالى- لا يمكن أن يترك العباد هملا، لا يمكن أن يتقوه، ولا يخرجهم، لا يمكن أن يتقوه، ولا يرزقهم، لا يمكن أن يتقوه، فلا يكون حسبهم، لا والله! إنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، فهو عليم بحالك، عليم بتقواك، عليم بما

ينجيك، عليم بخوفك، عليم برجائك، وقادر على أن يحقق لك ما في نفسك.

لذا ختمت السورة التي تطالبك بحسن الظن، وكل السورة تطالبك بحسن الظن، امتثل واتق وأنت محسن الظن، انتهت بقوله تعالى {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ} الأمر الشرعي، يأمرنا أمرا شرعيا حتى نمتثل الأمر ونحن محسنين الظن به، {لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢)} فإذا علمت هذا عن الله أحسنت الظن.

هل يعقل أن تتقيه والله يعلم أنك تتقيه وتمنع نفسك من الشهوات، وتمنع نفسك من أن تدخل مع ما دخل الناس، وهو وعدك -سبحانه وتعالى- أنه حسبك وأنه يرزقك وهو على كل شيء قدير، ولا يعطيك؟ إذا كنت تحسن الظن في نفسك أنك لو تعلم وتقدر ستفعل، فكيف لا تحسن الظن في رب العالمين؟

المقصد أن هذه السورة تبين لنا أن الأوامر الشرعية وامتثالها مبني على حسن الظن بالله. لا تمتثل الأمر وأنت تشعر أنك مظلوم، بل امتثل الأمر وأنت تشعر أن رب العالمين وعدك بهذه الوعود وأنه محقق وعوده، فأحسن الظن برب العالمين. والحمد لله رب العالمين.

اللقاء الثالث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. بسم الله، توكلنا على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله.

اليوم إن شاء الله ننهي ما يتيسر لنا من مناقشة هذا الموضوع الذي لا ينتهي وهو موضوع الظن في رب العالمين، وبيان لهذه الآية العظيمة من كلام إبراهيم -عليه السلام- {فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} ومسألة الظنون لا بد من التذكير بها دائما ومراجعتها لأن عليها يكون العمل في الدنيا، وعليها يكون الحساب في الاخرة. ونكاد نقول كل تصرفات الناس مبنية على ظنونهم. وهنا لا يقصد بالظن الشك، لكن يقصد بالظن ما تحمله من اعتقاد وفهم يصور لك الحقائق، يصور لك الحياة، يصور لك المسيرة، يصور لك، أو يدفعك، أو يساعدك أو يغذيك من أجل أن تتخذ قرارا.

اليوم إن شاء الله سنطبق على ما ورد في كتاب الله بحيث أننا نفهم أثر الظنون. بالأمس طبقنا على سورة الطلاق بما يدل على أن رب العالمين يريد منا أن نحسن الظن فيه ونحن نأتمر بأمره، بحيث أننا في كل مرة نأتمر بالأمر نتذكر أنه {مَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا} من يتق الله {يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} من يتق الله يكون هذا حاله، إلى آخر هذه الكلمات العظيمة التي هي بمثابة ظنون في قلب الإنسان تجعله يندفع للتقوى. لما

تحث نفسك على التقوى ذكر نفسك بما ورد في سورة الطلاق، بحيث أنك في كل مرة تتقي فيها الله، تشعر أن تقواك في مصلحتك، وأن ما هو في الغيب من وراء التقوى خير كثير من عند رب العالمين.

اليوم إن شاء الله سنقف على موقف آخر من مفاهيم حسن الظن بالله، أو مفاهيم الظنون التي تكون عند الإنسان.

كان المفهوم في الطلاق أنك إذا ائتمرت بالأمر فليكن ظنونك كل خير من وراء ائتمارك بالأمر. اليوم نأتي إلى أمر آخر مختلف في الظنون. نأتي إلى قصة مشهورة نقرأها دائما في سورة الكهف، تبين كيف الإنسان لما يظن ظنون، كيف هذه الظنون تؤثر عليه وتجعله يتخذ قرارات غير صحيحة، وكيف لما ربنا يعاقبه على هذه الظنون يكون المراد به خيرا، حتى العقوبة على السلوك الخاطئ تشعر أن الله يريد بأصحابه خير.

سنقرأ هذه القصة ونفهم هذا المعنى من خلال القصة، ما هو المفهوم؟ أن الله -سبحانه وتعالى- يصور لنا بهذه القصة كيف الظنون تحكم تصرفاتنا. ويوصلنا إلى هذه النتيجة؛

أن الإنسان حتى لما يعاقَب إنما يراد به خيرا. هذا الذي تظنه في رب العالمين، حتى لما تؤخذ منك نعمة، إنما يراد بك خيرا.

قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف

سنقف عند آية واحدة قبل القصة، وبعد ذلك ننتقل إلى القصة. نرى الآية الثلاثون وننظر كيف تكون ظنوننا في رب العالمين.

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠)}

هذا أمر مما نحمله في أفئدتنا كعقيدة في ربنا، أن تحسن الظن في الله أنك إذا عملت عملا صالحا تريد به وجه الله، وعلى سنة رسول الله ﷺ فلتطمئن أنه لا يمكن أن يضيع أجرك {إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا}، إذا أحسنت فلا تخف على أجرك. بماذا ستنشغل؟ بالإحسان في العمل، هذا هو فقط ما يشغلك، أما الأجور فمطمئن غاية الطمأنينة أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

هذه الآية مع بيانها ووضوحها فهي من الأسس في حسن الظن بالله، لأن كل من أحسن عملا الواجب عليه أن يطمِّع نفسه في الأجر من الله. الناس، على وجه العموم، يحسنون في العمل، يعرفون سنة النبي ﷺ، ويعملون العمل، الحمد لله، ويخلصون لله، يريدون وجه الله.

مثلا يأتي يوم عاشوراء، تصوم يوم عاشوراء ويوم قبله ويوم بعده، إلى آخر ما يتيسر من المعنى، وقصدك بهذا العمل اتباع سنة النبي ﷺ

والإخلاص لله والتقرب إلى الله باتباع سنة النبي ﷺ. بهذا الشرطين معا موجودة؛ التقرب إلى الله في هذا اليوم ومتابعة سنة النبي ﷺ. إلى هنا غالب المسلمين سائرين في نفس الطريق، ويختلفون في ترغيب أنفسهم في الأجور الحاصلة من عند رب العالمين، ويجب أن يكون على بالك أن ربنا لا يضيع أجر من أحسن عملا، وأن الأجور من عند الله، وأن الملائكة تكتب الحسنات، وأن هذه الأعمال تضاعف، وأنه -سبحانه وتعالى- كما وعد، يغفر ذنوب سنة سابقة، فتعين نفسك في ذنوب السنة السابقة وتتوب من أجل أن تقوى مغفرة الذنوب. التفكير في الأجور المترتبة على الأعمال نوع من أنواع حسن الظن بالله.

هذا سيجعلنا نعمل تركيبة كاملة في التفكير. مثلا ركعتي الفجر خير من الدنيا وما عليها، والمقصود هنا النافلة، أولا الفجر حدث كوني يكون في السماء قبل أن يكون في الأرض، بمعنى أن الملائكة تأتي في هذا الوقت وتنزل من السماء لعمل تقوم به، ومن البداية الملائكة، في قصة آدم -عليه السلام- عرفت بخلق آدم وأنه سيخلق بأعمال ستكلف بها مع هذا المخلوق، ففي كل يوم هناك أحداث كونية حاصلة في صلاة الفجر، في صلاة العصر، إلى آخره. هذا الحدث الكوني يلحقه أن الملائكة ستنزل، كما في الحديث، ولما تنزل هذه الملائكة تجد هؤلاء يصلون، وتصعد

الأخرى تقول إنهم كانوا يصلون، تقول لرب العالمين، وهو أعلم بهم، هذه الأحداث الكونية الحاصلة لا بد أن يكون في الفؤاد منها ذوق، يجب أن تطعمها، يجب أن تشعر وأنت قائم تصلي العصر بسرعة في وقته، كأنك تقول ألحق الملائكة الموجودة معي قبل أن تصعد، وأستقبل الملائكة الآخرين بهذه الحال، وليس وأنا نائم على فراشي وأنا مشغول وأنا كسول! من حسن الظن بالله أن نعرف الأجور المرتبة على الأعمال، من حسن الظن بالله أن نستحضرها في وقتها، من حسن الظن بالله، أنه كما أخبرنا الرسول ﷺ عن الملائكة الذين عن اليمين وعن الشمال تكتب للإنسان حسناته وتكتب سيئاته، أن تشعر بهذا أنه حقيقة أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

مثلا في الأضحية يصف لنا النبي ﷺ لئلا نهمل هذا الوصف ونجعله في ذهننا ونهتم به ونشعر به، يصف لنا النبي ﷺ، أن الدم يقع عند الله قبل أن يقع على الأرض عند الذابحين، لماذا تسمع هذا الكلام؟ حتى يعظم في نفسك الأجر، حتى تكون محسن الظن أن ربنا يسمعك ويراك ويعلم حالك ويعطيك على كل هذه الخطوات التي تخطيها في الحياة أجور. أنت صابر وحابس نفسك عن الكلمة السيئة، يصلح منك في حسن الظن أنك تناجي الله، أني حبست نفس من أجلك، من أجل أن ترضى عني لأني

أعرف أنك تحب من المؤمن أن يقول الكلام الحسن. أنا أفعل هذا أود أن ترضى عني. هذه نقطة محورية في حسن الظن؛ مناجاة رب العالمين اعتمادا على معرفتك للنصوص الصحيحة في الأجور المرتبة على الأعمال، مناجاة رب العالمين معتمدة على أنك تعرف أن الله يحب المحسنين، يحب المتطهرين.. لما تقدم على الإحسان تقدم وأنت في قلبك أن الله يحبه فأنا متقدم له، وأنتظر أني لو فعلت ما يحب الله أن يحبني الله.

أنت لن تحكم لنفسك أن ربنا يحبك، لكن نحسن الظن أننا أتينا بأسباب المحبة ثم نرغب في محبته، أتينا بأسباب المغفرة نرغب في مغفرته، لكن لا تعش الحياة ولا تعش أبواب الأجور والقربى إلى الله على أنها أعمال تعملها لأن الواجب عليك أن تعملها. يعظم أجر الإنسان بمقدار شعوره بحسن الظن بالله أنه لا يخيبه.

هذا الكلام كله عن هذه الآية {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} ماذا سيحصل لهم؟ ما قال ربنا ماذا سيحصل لهم، لكن قال يجب ان تظنوا بالله هذا الظن {إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا} لا يمكن أن يضيع عند الله أجر من أجسن عملا، لا يمكن أن يستوي شخص يميط الأذى عن الطريق بشخص يهمل هذا الأذى الذي في الطريق، لا يمكن أن يكون

شخص يبذل جهده لتربية أبنائه وإرشادهم إلى الصواب، يتساوى عند الله بشخص مهمل لأبنائه، {لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا}. يجب أن تشعر بهذا، لا يمكن أن يستوي المحسنين والمسيئين، المتقين والفجار، لا يمكن أن يستووا أبدا، وهذا من ظنونك في الله -عز وجل-

لا بد في كل مرة نقدم فيها على عمل صالح أن نذكر أنفسنا بالأجور المترتبة على هذه الأعمال، من أجل أن نطلبها من رب العالمين وننتظرها من رب العالمين ونقول أنك يا رب العالمين لا تضيع أجر من أحسن عملا. بهذا انتهينا من هذا المفهوم.

سندخل مباشرة على مفهوم آخر من مفاهيم حسن الظن لكن له اتصال به، هذا المفهوم الثاني موجود في **قصة صاحب الجنتين**. سنفعل مثلما فعلنا في سورة الطلاق، ستأتينا مفاهيم كثيرة محيطة بالمفهوم، إلى أن يتخلص لنا مفهوم حسن الظن.

رب العالمين هننا يخبرنا عن قصة هذا الرجل، ويأمر نبيه ﷺ بأن يضرب لنا هذا المثل، وضرب الأمثال كأنه وضع نماذج والمطلوب منك أن تحللها، المثل هو النموذج الذي يطلب منك تحليله وفهم الموضوع، ما كانت حالته، وكل كلمة في آيات هذه القصة تشير إلى شيء من حالة هذا الرجل ومن حالة صاحبه.

انظر إلى حال الرجلين وسيظهر من أحسن فيهم عملا، ومن أساء.

انظر إلى الأفعال التي فعلها الله للأول، ونلاحظ أنها كلها أفعال فعلها الله له {جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ} أولا جعلنا، فهي لا جهده ولا تعبه، إنما جعلها الله {مِنْ أَعْنَابٍ}، والفعل الثاني {وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ} أيضا هذا الفعل الثاني منسوب إلى الله، {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا} كل هذه الأفعال منسوبة إلى رب العالمين، ليس له فيها إلا أنه مستقبل للنعمة فقط، مثل أي أحد يمد يده ويأتيه العطاء، بالضبط مثل هذه الصورة.

{كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ} ماذا فعلت؟ رب العالمين أمرها وأعطاها حتى فعلت هذا الفعل {آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا} فيها من الخصوبة والطيبة، هذه الأرض، وفيها من الصفات التي جعلتها تعطي وتخرج كل خيراتها كما أمرها رب العالمين، ومن زيادة العطاء أن {فَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا}. بالإضافة إلى هذه العطايا، أن كان فيها أعناب، وكان فيها نخل، أيضا ماءها منها.

وهذه قد طرحت وأعطت خيراتها {وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ}، أرض طيبة ونخل وماء وثمار خارجة من هذا، كل شيء عنده، كل شيء موجود في هذا المكان.

المتوقع من الإنسان الذي يعرف حقائق الأمور ألا ينسب هذه المسألة لنفسه وإنما هي من عطايا الله، خصوصا أننا نسمع الأفعال بوضوح،

لكن المشكلة كيف ننظر للأمور، هذا هو الإشكال؛ فيمكن أن تكون الحقيقة في جانب، ونحن نظرتنا في جانب آخر. {وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ} هو الذي ابتدأ الكلام، قال له {أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا} كيف يبتدئ إنسان بمثل هذا الكلام؟ إنما يكون بسبب مشاعر طغت على الإنسان، بمعنى أن الإنسان لما يمتلئ شعورا بالاستغناء عن الله، والاعتماد على نفسه يرى هذه الأمور ترفعه عن غيره.

نقطة البداية في الإشكال الاستغناء عن الله، وشعوره أنه معتمد على نفسه. أولا ننظر لأنا، أنا هذه ستكون مشكلة كبيرة، لم يقل له عندي مزارع وكذا، بل قال له {أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا}، بمعنى هو يرى من في المرآة؟ يرى ذاته المتضخمة، ونركز على أنا لنرى الثاني كيف سيكون حاله. افتخر بأمرين؛ افتخر بالمال وأنه أكثر، وافتخر بالأنفار الذين هم عاملين له.

ثم رب العالمين يقول {وَدَخَلَ جَنَّتَهُ} هذا الشعور بالاستغناء عن الله يجر مشاعر أخرى في غاية الخطورة، سنرى كيف وضع هذه المشاعر. {وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ} الظلم للنفس في هذا الموقف، بكلام مختصر، يعني إعطاءها فوق حقها، هناك قال أنا، وهنا رب العالمين قال

{ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ} ما هو الداء الذي هو مصاب به؟ داء تعظيم الذات والاستغناء عن الله.

في الآية السابقة قال {أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا} وفي الآية التالية رب العالمين قال عن حاله أنه دخل وهو {ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ}، يعني أعطى نفسه مكان أعلى من الواجب أن يعطيه إياها، ضخم ذاته فظلمها؛ بدلا من أن تكون هي التي تستقبل النعم جعلها مصدر النعم، فوضعها في مكان غير صحيح، ومن ثم لما تطلب من ضعيف صراع القوي، تكون ظلمته، هو غاية في الضعف فيضع نفسه كأنه هو المحصل للخيرات لنفسه، يضع لنفسه كأنه هو الذي يعطي لنفسه الخير وهو غاية في الضعف وسيظهر هذا. هو ظلم نفسه وسنرى كيف الخير لما ربنا كشف له ظلمه لنفسه.

سنحسن الظن في الذي وقع عليه، أن الإنسان لما يظلم نفسه رب العالمين يكشف عنه ظلم نفسه. لما تُظلَم من أي أحد وتذهب لإمام عادل، ماذا تنتظر منه؟ أن يكشف عنك الظلم، أن يرفع ظلم هذا الذي ظلمني عني. هذا الإنسان ظلم نفسه، فرب العالمين سيزيل ظلمه لنفسه، سيريه الحقيقة. أنت تحسن الظن في رب العالمين، لأن هنا محور حسن الظن، أنه لما وقع في ظلم نفسه كشف الله عنه ظلم نفسه لنفسه.

نرى الاستغناء كيف يجعل الإنسان يتدهور، {قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا} وهذا أول الأمر، بعد ما تضخمت ذاته وشعر أنه قادر عليها، شعوره بالقدرة أنه هو قادر عليها وأن لا أحد يستطيع أن ينزعها من يده، ظن أن هذه لا تزول، لا تبيد أبدا، وهذا الاغترار الحاصل سببه أن الإنسان يشعر أنه هو صنعه بنفسه، ومن ثم هو سيحافظ عليه، وهناك فرق كبير بين أن تشعر أنك أُعطيت، ومن أعطاك سيحفظ الذي أعطاك، وبين أنك أنت أنتجت وفعلت، ومطلوب منك كما أنتجت أن تحافظ، فهنا ظلم نفسه لما ظن استغناءه عن ربه وأنه هو الذي أتى لنفسه، ترتب عليه أنك ما دمت أتيت لنفسك ترتب عليه أنك ستحافظ عليه، كما حُمّلت الإتيان به، تُحمل المحافظة عليه، وبهذا الإنسان يتدهور في ظلم نفسه.

لو ظن العبد أن الله أعطاه هذه النعم لسأل الله باسمه الحفيظ أن يحفظها، كما أنعمت علي احفظ لي، لكن لما الإنسان يشعر أنه هو الذي ربى، هو الذي علّم، وخذها في أي موطن من مواطن الحياة، فيرتب على ذلك أنه المطلوب منه أن يحافظ على المكان الذي وصل إليه، وهذه المفاهيم المنتشرة التي سببت تعظيم الناس لذواتهم، أنك أنت تستطيع، وأنت تقدر، أول الأمر، ثم تسير في طريق يوصلك أنك كما أنك تستطيع

وتقدر، محل ما وصلت يجب عليك أن تحافظ على وصولك إلى القمة، فكر في الوصول ثم حافظ على مكان الوصول.

هم يسيرون بالضبط على نظم ظلم النفس، أني أنا الذي آتي لنفسي الخيرات، ولما أصل للخيرات المطلوب مني أن أحافظ عليها، ومن ثم تجد هذا الإرهاق الدائم في نفوس الناس، وهم مساكين، أصلا في موقف المستقبلين وليسوا في موقف المرسلين.

أما سمعت عن رب العالمين يقول عن هذا {جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ} ويقول {وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ} هو يظن نفسه هو الذي فعل، ورب العالمين يكشف لك وجه الحقيقة، وهو ظلم نفسه.

{قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا} بناء على المعطيات التي عنده، التي تقول هذه أرض خصبة ونهر، المعطيات تقول أن هذا الأمر سيبقى. يتدهور الإنسان أكثر في التفكير في ظلم نفسه، انظر كيف تأتي الظنون التي تفسد حياة الإنسان، بدلا من أن يكون ظننا أننا سنلقى ربنا فيعطينا في جنات عدن، هو ظن أن هذه بعيدة، {وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً} هذا هو الاستبعاد، سيبقى الناس هنا. لكن لكي تلاحظ أنها مجرد خواطر وظنون وليس انتقال للفكرة، قال {وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا}، هو ما وصل إلى حد الإنكار ليوم القيامة، لكن كأن هذا توصيف لمشاعر

الاستبعاد، كلما كان الإنسان في نعيم كلما استبعد أنه يخرج من هذا النعيم، كلما استبعد أن يخرج من هذه الدنيا.

ثم يأتي الظن الثاني الأفسد منه، وهو أنه يحسب حساب أن الآخرة مثل الدنيا، ما دمت منعم في الدنيا وعندي في الدنيا وعندي، إذن لا بد أن هذه الحال ستبقى حتى لما ألحق ربي. هذا سوء ظن وهذا سوء ظن، وكل منهما أكثر من هذه سوءا.

{مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا} كأنه هو مالك الموضوع، ثم يسيء أكثر {وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً} التي يمكن أن تبيدها، الساعة التي ستنهي الموضوع أيضا بعيدة. على افتراض أنه ستكون ساعة سيكون هذا النعيم وأفضل منه لي في الآخرة، لأن وهذا ما يظنه في ربه لا يمكن أن أكون صاحب نعيم ثم أنتقل إلى الجحيم -والعياذ بالله- يشعر أن هذه لا تأتي معا، ما دام ربنا منعمني في الدنيا، أكيد أني صاحب النعيم فيما بعد.

هذه الفكرة إذا ما صرحنا لأنفسنا بها فهي مختبئة في الوجدان، يحتاج الإنسان أن يراجع نفسه دائما، لأنك لما تطوف مع الناس وتسعى، خصوصا في أيام الزحام، يأتي الناس أشكال وألوان ومن أماكن مختلفة، فأنت تسبح الله أن هؤلاء مسلمين، تسبح أن هؤلاء الذين أتوا من أواسط أفريقيا، من آسيا وأوروبا، وهناك شعور داخل النفس كأننا نحن

المسلمين وهم التابعين لنا! كأننا نحن السابقين وهم اللاحقين لنا. هذه الظنون التي الإنسان يعيشها ويفكر فيها تخبئ ظنونا في الله، مثل بالضبط. هذا قال {مَا أَظُنُّ} شيء في داخله استبعد فيه أن هذا النعيم، هذا الملك الثابت، الذي دعائمه واضحة، الذي حسابه في البنك كذا، والذي مجوهراته كذا لن ينهار بالتأكيد. هذه الظنون التي في النفس توحي للإنسان بالاستغناء عن الله ولو بصورة.

لا يوجد أحد من أهل الإسلام، من أهل الدين، بل من الذين عندهم عقل سيقولون إنهم مستغنين عن الله صراحة، لكن هذا كله يستبطنه الإنسان في ظنونه ويتصرف به.

تجد لما أحد يقول للآخر حمد الله وشكره قولا وفعلا مما يزيد النعماء، يشعر الإنسان في داخله أن عندي كثير، أن الموجود يكفيني، كأنه لا داعي لزيادة النعماء، استبطان لهذه المفاهيم دون أن يشعر! ليس كل شيء في داخل النفس وفي ظنونها في الله -عز وجل- الإنسان عنده القدرة على أن يواجهها، ليس عندنا القدرة على مواجهة أشياء كثيرة موجودة في الداخل، لكن يأتي القصص القرآني ليقول لك هذا ما يكون في نفس الإنسان.

شعورنا أننا في الدنيا مكرمين، وهذا التكريم في الدنيا لا بد أن يلحقه تكريم في الآخرة، هذا تكرر في القرآن، أن الناس بهذه الطريقة يفكرون، كما في سورة الفجر، إذا كانوا في الدنيا وفي حال تكريم، إذن في الآخرة يكونون مكرمين، فرب العالمين يقول {كَلَّا} ليست هذه هي الطريقة في التفكير السليم.

هذا الكلام كله عن صاحب الجنتين، لنرى ما يقوله الصاحب:

{قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ} هي حديقة، أصل الزراعة فيها التراب، فهو يقول له أرأيت التراب الذي في الأرض الذي تزرع فيه؟ ربنا خلق هذا التراب وخلق آدم من هذا التراب، وأنت عودتك إلى هذا التراب، وهذه هي حقيقة قدراتك، أنك خُلقت {مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا} يقول هذا الكلام لأجل أن يستيقظ في نفس الإنسان فقره إلى الله، وأنه كان مثل هذا التراب، إلا أن الله أكرمك وانتقلت من هذا إلى الإنسانية. ثم إنك لما أُكرمت مررت بمرحلة من المراحل الحقيرة جدا، أليست هذه النطفة مما يستقذره الناس؟ ف تذكر أصلك، أنت من نطفة، لكن تحولت من هذا الشيء الذي يستقذره الناس إلى رجل سواك رب العالمين. فالذي تظنه في نفسك وفي ربك يجب أن يكون مبني على معرفتك لهذه الحقيقة وهي أنك إلى الله فقير، ولا

يمكنك أن تستغني عنه، لا تظن في نفسك أنك مستغن عن الله، وهذه هي أصل جريمتك.

لنرى في الكلمة القادمة في الآية الثامنة والثلاثون، كلمة الاستدراك مكونة من كم كلمة؟ {لَّٰكِنَّا} هذه الكلمة مكونة من كلمتين في التركيب (لكن أنا)، {هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا}، بمعنى كأنه هو يتكلم عن نفسه، نلاحظ (أنا) الأولى {أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا} وفي المقابل يقول له تلك كانت عقيدتك، ذاك ظنك في رب العالمين، (لكن أنا) {هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا}.

وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا

هنا سنتكلم عن الرسم القرآني، كلمة أنا حتى في الرسم ما انفصلت، هذا من العجائب، يعني هو وصل في ظنه بنفسه في علاقته بربه إلى درجة أنه ما يشعر أنه مستقل، لكن أنا الضعيف، {هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا} فخدم الرسم القرآني هذا المعنى. هناك قال {أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا}، عند أهل التجويد لها مخرج، وفي الرسم القرآني لها مخرج، وفي الفهم لها مخرجها الواضح، أن تفهم أن أنا ما خرجت من هذا الإنسان بشعور أنه هو مستقل، لكنه يقول لكن أنا ماذا أكون؟ أنا {هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا}.

وهنا سيختلف شعور الإنسان بين شعوره بالاستقلالية التي في وضعنا هذا دعمته الرأسمالية، وجعلت الإنسان ينتفخ ويصبح أنا مئة مرة، في مقابل الذي لا يرى نفسه أنا، بل يرى نفسه في غاية الضعف. حتى الرسم الثاني، قد ذكر بعض من يتكلم في الرسم أن كلمة الصاحب الأولى {وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ}، الرسم فيها بدون ألف، في الرسم وليس في النطق، وفي الثانية فيها ألف. هذا الكلام للفت النظر وليس على باب التسليم، أن الأول أنهم كانوا لا زالوا مجتمعين، ما افترقوا في المفاهيم، فهو كان صاحبه دون أن تفصل الألف بينهم، وفي الثانية أتت الألف كأنه صار بينه وبينه فاصل، مثل هذا يؤخذ للاستئناس، أن الرسم القرآني له أثره في تصور المعاني.

نعود إلى هذه الكلمة التي لما نقرأها في وردنا يوم الجمعة، يجب أن تذكر نفسك أنه يقول أنا لي ميزتي لكن أنا لست مثلك في تعظيم الأنا، أنا ضعيف أعرف مكاني {هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا}، هذا هو الذي يظنه في نفسه ويظنه في ربه، أنه لا يستطيع أبدا أن يستقل عن ربه. الأول شعر أنه يستطيع أن يستغني عن ربه.

سنرى كيف يعظه، كيف يقول له التصرف السليم، يقول له {وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ} كنت تصرفت كما ينبغي أن تتصرف، كيف ينبغي أن

يتصرف الإنسان؟ المعرفة الأولى أني في غاية الفقر، كل شيء عندي موجود إنما وُجِد لأن الله شاءه. ولذلك المفروض أن تقول هذا الكلام لما دخلت جنتك ورأيت أن عندك ما عندك، قل لما رأيت أن عندك ما عندك أن هذا ما وجد إلا لأن الله شاءه. لذلك {مَا شَاءَ اللَّهُ} كان، فأنا الآن، على حسبان الدنيا، أملك ما شاء الله أن أملك. ما ملكت إلا أن شاء الله أن أملك، هذا إنما هو بمشيئة الله. انتهينا من الكلمة الأولى.

الكلمة الثانية أنا ليس لي قوة، وإنما القوة لله، فاعترف بهذا المعنى مرة أخرى وقل أنا لم أشأ وأختار أن يكون لي هذا الملك، وإنما شاء الله فكان ما شاء الله، وهذا هو الكلام الأول، وأنا ما لي قوة أن أرعى هذا الملك الذي شاءه الله، وإنما القوة بالله {لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ}، هذه القوة التي أمتلكها، وسنأتي الآن للإشكال الكبير، هو كان يحرث ويعمل، إلى آخره، القوة التي تملكها للقيام بأي عمل إنما هي قوة الله.

لماذا أنت دخلت هذا الباب وأختك دخلت هذا الباب، لماذا الأشقاء هذا غني وهذا فقير، هذا صحيح وهذا مريض؟ هذا ما شاءه الله لهذا، وهذا ما شاءه الله لهذا. هذا لما شاء له الله أن يكون في هذا الباب من الخير، وفي البداية ما وقف على هذا الباب إلا أن شاء الله، وما استمر في هذا الباب إلا بقوة من الله. فإذا رأيت ما رأيت من صلاح في نفسك، من

ملك عندك، من أبنائك ما رأيت، ونريد أن نؤكد أن هذه الجملة لا علاقة لها بالحسد أبدا، إنما النبي ﷺ لما تكلم في مسألة الحسد قال له برك، قل تبارك الله او بارك الله، وليس {مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ}، فهذا اعتراف من العبد بفقره وعدم قوته وعدم قدرته، وهنا يكمن الظن. ماذا تظن برب العالمين؟ أن كل ما تملكه إنما شاءه الله، وكل أمر حرثت فيه وزرعت وفعلت ودرست، إلى آخره، وكل ما يقوله الناس من أننا درسنا وفعلنا وتعلمنا، كل ما تسنده لنفسك ظنك أن الله أعطاك القوة لتفعله. فما ظنك برب العالمين؟ أن ما شاءه كان، ما ظنك برب العالمين؟ أن كل عمل استطعت أن افعله إنما هو بقوة من الله، هذا هو ظنك برب العالمين.

لذلك قال له {وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ}، ويكمل ويقول له {إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا} هل تعرف لماذا أنا اقل منك مالا وولدا؟ أنا أقل منك مالا وولدا لأن الله شاء أن يختبرك بهذا، ولم يشأ أن يختبرني بهذا، أنت اختُبرت وأنا ما اختُبرت، أنت الله أعطاك القوة وربنا ما أعطاني، فهذا الأمر لا يتصل لا بصلاحي ولا بفسادي، لا يتصل باختياري أو بكسلي أو بأي شيء، إنما يتصل بمشيئة الله وقوته، فمن شاء الله وضعه على الطريق، ومن شاء الله أعطاه القوة للسير في هذا الطريق، فلا الطبيب طبيب لأنه يريد أن يكون طبيبا، وإنما شاء الله

هذا الأمر ففتح له الأبواب وهو أخذ بالأسباب. هذه القوة التي بين يديه التي يحصل بها الفعل إنما هي قوة الله. هذه الجملة تمثل ظنوننا في عطايا الله {مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ}.

سنرى أيضا ظنّ جديد يجب أن نظنه برب العالمين، ما هذا الظن؟ سنعيد أنفسنا مرة أخرى لمسألة أنه ظلم نفسه، وأن الله من حكمته، أنه يريد أن يزيل ظلم الإنسان لنفسه، لذلك يعرض الإنسان نفسه للبلايا لما يظلم نفسه بهذه الطريقة، لما يكون عنده من عطايا الله فينسبها لنفسه، عنده من الصحة فيقول لأني آكل أكل صحي، لذا انا صحيح، يتكلم عن هداية أولاده فيقول لأني ربيتهم أحسن تربية. أنت تعرّض نفسك للبلاء فالصحيح يصبح مريضا والمهتدي يصبح ضالا، والكثير يصبح قليلا، والسبب أن الله يريد أن يزيل الظلم الذي ظلمت نفسك به، هذا الذي نظنه بالله؛ أنه -سبحانه وتعالى- يزيل عن الإنسان بعض النعم لأجل أن يكتشف الحقيقة فكن عارفا للحقيقة بدلا من أن تتعلم الدرس بالقسوة.

ربنا أتى بهذه النماذج حتى نتعلم الحقيقة ونختصر على أنفسنا خطوات صعبة في الحياة.

يقول له: {فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا} ربنا قادر، يقول له لأن الله شاء أعطاك، ولأن الله أراد أن تبقى هذه الحديقة لك، أعطاك القوة لاستمرارها، لكن ربي لو شاء أو يؤتيني أنا خيرا من جنتك فهو قادر على أن يفعل هذا الفعل. هو ليس في موقف الحاسد الذي يريد أن يأخذ منه المال، هو في موقف المقرر للظنون الصحيحة بالله، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

هو يتكلم عن قدرة الله، الأول مطمئن أنه {مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا}، فهو يقول له من أين لك هذه الطمأنينة؟ أنت تعرف أن الله قادر على أن يرسل عليها حسبانا من السماء، كأنه يذكره بضعفه. أنت جالس في الأرض قادر أن تحميها من الآفات، ومن كذا وكذا، لكن أنا وأنت جالسون في الأرض، ثم يأتي حسبان من السماء يحرقها، ما الذي تستطيع عمله؟ كيف ستدفع ما يأتيك من السماء؟ يقول له فكر بالطريقة السليمة التي تردك للمكان السليم، ماذا تظن برب العالمين؟ أظن أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، أظن أن كل ما أملك إنما شاءه الله، أظن أن استمراري في العمل والعطاء وإثمار الثمر إنما كان من قوة أعطاني الله إياها، وإلا فإن مرضا جاح الناس كان يمكن أن أكون معهم، وإلا كان شأن من

شؤون الاقتصاد يمر علي فيذهبها، وإلا كان هذا الذي أملكه يكون كذا وكذا. فكر وأعرض على نفسك هذا حتى تهيج نفسك إلى شكر الله وإلى نسبة النعمة إلى الله، وإلى زيادة الشعور بالضعف والعجز.

نقطة قوة الإنسان فقره إلى الله، هذه هي قوتك الحقيقية، لأنك لا تختبر بقواك، فأنت ما عندك قوة، أنت تختبر بمقدار إظهارك ضعفك لله، مقدار إظهار فقرك لله. تظن في الله أن ما من قوة تملكها إلا الله أعطاك إياها، تظن أن ما ملك حصلته إلا أن الله أعطاك إياه، ثم مثل هذه المعاني، إذا كان الإنسان صادق سيقف مع نفسه ويذكر نفسه بذلك.

مثلا الإنسان يتعلم، وكم من المرات وقف عاجزا أمام فهم الأمور، كم من المرات نام وترك أعماله، لكن أوقظه الله، أفهمه الله، يسر له الله، ستر عليه الله، أعطاه الله، رزقه كتابا يقرأه فوفر عليه جهود كثيرة. لو وقف الإنسان صادقا مع نفسه وواجهها سيرى كيف الله -عز وجل- ينقله من خطوة إلى خطوة. من كثرة لطف الله بالعبد وأرزاقه، ينسى الإنسان عطايا الله، ينسى ما نقله إلى هنا وهنا.

الشاهد أنه قال له أولا أنت غاية في الضعف {وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا}، ربنا قادر أن يعطيني، وفي نفس الوقت

قادر أن يهلك جنتك التي تظن أنها لن تبيد أبدا، هو يناقشه في المفاهيم التي طرحها في البداية.

نرى الاحتمال الثاني الذي طرحه، قال له هذه الجنة تسقى من أين؟ الأنهار التي تجري، هل أنت أجريتها؟ ما أجريتها أنت، وهذه الجنة لا يمكن أن تعيش بدون ماء. أتى له بمواقف يشهدها، أنه يصبح غائرا في الأرض وما عندك القدرة على أن تأتي به من الأرض، والناس يعيشون هذه المواقف.

المقصد أنه أوقفه على عجزه وضعفه. تظن أنها لن تبيد؟ هي يمكن أن تبيد و لا تستطيع أن تدفع عنها لو أراد الله إبادتها، أتعلم من هو الله؟ الله يرسل عليها من السماء فتذهب، أو يجعل ماءها غورا فتجف وتنتهي. هذه الاحتمالات نقولها دائما لأنفسنا. هو ما خاطبه بهذه المخاطبة إلا لمناقشة الأوهام والظنون، هو يظن في نفسه القدرة، وصاحبه يبين له أنه لا شاءه ولا عنده القوة والقدرة.

ماذا حصل له؟ ما حصل له الأول ولا الثاني، لا جاء حسبان من السماء ولا غارت المياه في الأرض، وإنما {وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ} كأنه يفهم من هذا المعنى أن آفة أتت ما استطاع أن يدفعها، أحاطت بهذه الحديقة فأذهبت خيراتها، {وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ}، كأنه في دقيقة واحدة {وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ} بحيث أنه

لا يوجد أي منفذ له، لو جاءت آفة بسيطة يستطيع أن يدفعه أن آفتين يستطيع أن يدفعها، لكنها لا آفة ولا اثنتين ولا ثلاثة، أحيطت بالآفات حتى هلكت، وفيما يذكر في التفسير أنها آفات دقيقة بحيث أنه لا يستطيع أن يدرك ما الذي حصل.

في الوضع الحالي مثلا انهيار البورصة، شيء لا تعرف أين جذره الذي يمكن أن تعالجه، أصحاب الأسهم انهارت أسهمهم، يحاط بها بحيث أنه لا يعرف لذلك علاجا، الإحاطة بالشيء بحيث لا يكون هناك منفذ، لا شيء يستطيع أن يعيده أو يرده.

في سورة القلم أصحاب الجنة الذين باتوا ليلتهم يريدون أن يمنعوا صدقتهم فقط، فيما يُذكِر أن هذه الأرض اسودّت إلى الآن لها مكان معروف في اليمن. إلى هذه الدرجة الذنب يؤثر في الأرض، ولما تأتي عقوبة الله يبقى أثر هذه العقوبة الدهور الطوال، فنحن نعيش في عفو الله.

{فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا} هذا حاول أن يعالج هنا وهنا، فهو خسر الاثنين، خسر الجنة وخسر ما كان عنده من مال لأجل علاجها، من المؤكد أنه يبيع ثمارها ويجني موالا، فهو منتظر أن تأتي بثمار، ما أتت بثمار، أحيط بها فأراد أن يعالجها فأنفق عليها من أجل العلاج، فاجتمعت عليه مصيبتين: أنه لا يمكن أن تعالج وما في يده

{يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا} هنا فقط أشرك نفسه. نفسه تعاظمت عليه، من البداية {أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا} من البداية {وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ} هذه نفسه. أيضا يزداد البيان مع هذا الإنسان أن رب العالمين قال {وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ} ماذا تفعل له؟ {يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا}. لو في عصرنا الحالي {وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ} فيكلم المنظمات العالمية للزراعة، ويكلم، كلم من أردت، {وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا}. هناك من يناديهم، وهو مطمئن لهم من البداية.

ظنونك في الله: أنت تعتقد أنك تستطيع وتقدر، وأنت لا تستطيع ولا تقدر، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

أنت تعتقد أن من هنا وهنا يعينك لأنك رأيت من تسخير الله لهؤلاء الناس لك، المشكلة الأولى رأيت نعماء الله فظننت أنك صاحبها، المشكلة الثانية رأيت أن ربنا سخر لك فلان وعلان هنا وهنا فظننت أنك لمكانتك ولقدرتك، لإخلاصهم، لكون الآخرين يعينوك مجاملة لك لمكانتك عندهم، لمكانتهم هم وقدرتهم، لأي سبب يتصل به أو بهم، بدلا من أن تشعر أنهم مسخرين وتظن برب العالمين خيرا، أنه -سبحانه وتعالى- يسخر لك الخلق، يظن هو أنه يستحق هذه المساعدات، وأن هؤلاء

الناصرين له لأن له مكانته، له وضعه، إلى آخره. فرب العالمين أزاحه هو، صار لا يستطيع شيء، وأيضا أزاح الآخرين، لذلك {وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ} كلهم انتهوا، كانوا مسخرين والله أزال هذا التسخير {وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا} بنفسه، لأن قواه التي كان يراها {وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ} أزالها الله لأجل أن يزول الظلم لنفسه. إلى أن نحدد ما هي الظنون التي نظنها في الله.

رب العالمين قال {هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ} الولاية مصدر الولي، في مثل هذا الموقف يظهر أن مالك ولي يدبر شأنك، يعطيك ويصلح لك أمرك إلا الله. لذلك أخبر -سبحانه وتعالى- أنها حق لله، وهو الحق -سبحانه وتعالى- {هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا} يعني ثوابه خير ثواب وعقباه خير عقبى، أما الدنيا وما فيها هي مجرد اختبار.

هناك ثلاثة أمور نظنها في الله:

أما **الظن الأول** فهو الذي اعتمدناه في قوله تعالى {مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ} وهو أن نظن أننا كل ما نملكه من ممتلكات، أو من قوى، فإن الله شاءها وأعطانا القوة لوجودها، أو للحفاظ عليها، إلى آخره.

الظن الثاني أنه -سبحانه وتعالى- يختبر الخلق بمثل هذه الأمور، يعطي فلان ويمنع فلان ليس لأن فلان أحسن من فلان.

في هذا الموقف من خير ممن؟ الذي ما عنده من جهة إيمانه وتقواه خير من الذي عنده. ماذا تظن؟ هل يعطي الله الناس على إيمانهم، وعلى تقواهم، أو يعطي الله الناس العطايا اختبارا لهم، كانوا مؤمنين أو غير مؤمنين. هو اختبار، وإلا لو كان الأمر بمقياسنا نحن وتفكيرنا أن المفروض أن التقي هو الذي يأخذ والغني هو الذي يمنع، ليس هذا ما تظنه في الله في الدنيا، في الدنيا المقادير قُدِّرت اختبارا للخلق، الفقير اختبر بفقره والغني اختبر بغناه. متى تقول أن العطاء يدل على الرضا، وأن المنع يدل على السخط؟

أما في الدنيا فالدين الذي يعطى، العلم، يفتح له في أبواب العلم صدقا وليس نفاقا، لأن عندنا مشكلة النفاق، يفتح له في أبواب الدين صدقا، هذا الذي تقول أنعم عليه، والمحروم هو الذي حُرم من هذه العطايا، نسأل الله أن لا يحرمنا من هذه العطايا هذا في الدنيا، نقول العطاء هو كل باب يفتح لك لتزداد قربا من الله، في الدنيا العطاء ليس المال، لأن ما لك إلا اللقمة التي تأكلها والملبس الذي تلبسه والمكان الذي تنام فيه، وانظر للحج ستعرف الحقيقة، أن الناس ما لهم إلا مكانهم الذي يفرشونه فقط، على قدر مكانهم، وما لهم إلا عدد من اللقم يأكلونها، وفي أحيان كثيرة الناس يطلبون من الناس الحجارة، يتصدق

الناس بعضهم على بعض في الحجارة. يصل الناس إلى المرجم وما معهم حجارة فيتكففون الناس، يطلبون من الناس أن يعطوهم حجارة، فكأن الدنيا كلها تشبه هذا المكان الذي على قدرك تنام، واللقم التي على قدر حاجتك والليالي التي تباتها، والحجارة التي تلقيها، وانتهت الدنيا. فظننا بالله أن عطاء الدنيا ليس دليل على رضاه، وإنما عطاء الدين.

هذه ظنين، الأول أن ما شاء الله ما كان وما لم يشأ لم يكن، وكل الذي عنده لأن الله شاءه، والأمر الثاني أن عطاء الدنيا ليس دليل على رضا الله ولا منعه ليس دليل على سخطه، وإنما نظن في رب العالمين أن عطاء الدنيا ليس دليل على رضاه، وإنما عطاء الدين. الذي يفتح له في باب محبة الله صدقا، الذي يفتح له في باب التقرب إلى الله صدقا فقد من الله عليه، ونؤكد على كلمة صدقا لأن هذا الباب يفتح للمؤمن وللمنافق.

الظن الثالث مما نظنه في رب العالمين أنه -سبحانه- يقدّر على الإنسان أقدارا ليستيقظ. يقدر على الناس أقدارا لكي يزيل عنهم الأوهام. يقدر على الناس أقدارا لكي يزول ظلمهم لأنفسهم بالمعتقدات الباطلة. وهذا يمكن أن يكون بعظم هذا الموقف الذي حصل لهذا الرجل أو بأقل منه. مما نظنه في رب العالمين أنه يقدر عليهم أقدارا ليزيل عنهم الأوهام.

ما تأتي على الإنسان أضرار، مواقف وآلام، من الذي تظنه في رب العالمين أنه -سبحانه وتعالى- يريد أن يزيل عنك وهم كنت تتوهمه. مثلا، أنت واثق أن أخذك لهذا الدواء سيزيل عنك كذا، وكذا من الآلام، وربنا جعله سبب، لكن أنت ماذا فعلت؟ نقلته من حد السببية إلى حد الثقة والميل والطمأنينة إليه. بالكاد نقول بسم الله، وقد لا نقول بسم الله إذا شربناه! أو نقول بسم الله لكن لا يوجد شيء نديره في قلبنا وقتما نشربه، لا نقول لا تكلني عليه، انفعني به، أنت الذي وهبت، أنت الشافي، اشفني بسببه، أنت أمرتنا بأخذ السبب، ونحن نكفر بالسبب ونؤمن بك. فيصاب الإنسان بأن هذا الدواء لا ينفعه، لأجل أن يكشف عنك وهمًا صار في ذهنك. لما يقال لماذا لم ينفعني؟ ضع هذا أول ظن عندك، أنه ربما حصل مني ميل وطمأنينة له. وعد على ذلك، لا يجب ان يحصل أن يكون عند كل الناس حديقة وتذر، أو مال ويذهب، أنت ظن هذا الظن، أن هناك أمور صغيرة أو حتى كبيرة مالت نفسك إليها واطمأنت بوجودها وشعرت أنها تحت يدك وأنها ملكك ودخلت في ظلم نفسك، هي من أبواب حاجتك لكن لم تجعلها سبب للفقر والدعاء والرجاء، ذهبت في زاوية الاستغناء عن الله، في زاوية الانتفاخ، فماذا يفعل الله بها؟ ظن بالله أنه إن أزالها عنك فقد أزالها لتعود مرة أخرى له، لأجل أن تزول عنك الأوهام التي يمكن أن تكون دخلت في رأسك تجاه هذا المكان، تجاه هؤلاء

الأشخاص. حتى أحيانا يخذلنا أصحاب، أحباب، لأجل أن تعرف أن الولاية إنما هي لله، وأن هؤلاء في الدنيا ما نفعوك، لما يقال لك أنت ستفر من أبيك ومن أمك ومن أختك وأخيك ومن زوجك وأبنائك، النفس لا تتحمل هذا الأمر فيأتي في الدنيا ما يربي الإنسان، أو يجعله يعرف أن هذه حقائق. لماذا تعرض نفسك لهذا؟

استمتع بنعم الله بإظهار نسبتها إلى الله، وبإظهار فقرك إلى الله في وجودها وفي استمرارها، كن في المكان الصحيح. لا تزول نعمة لأن الله يكره أن تبقى النعمة عند العبد أبدا. الله هو الغني، الله هو السلام، سبحانه وتعالى، سلام من أن يريد أن يفسد حياة العباد، أو أن يريد بهم ضنكا، لا والله! لكن العباد يحتاجون إلى إزالة أوهام، وربنا يعلمهم بلطف.

من اللطف أنه أتى له صاحب قال له وعاد وزاد، وهو ما سمع. لتشعر بهذا نلاحظ حرف الواو بعد أن كلمه {فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ} ثم رب العالمين قال: {وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ} ما قال فأحيط، وهذا يدل على أن هناك انفصال.

ربنا لا يتركك قبل أن يعطيك آيات، لا يزيل عنك الأمر إلا لما يعطيك آيات وآيات، إذا لم تستفد من الآيات تكون ورطت نفسك، وهذا ورط

نفسه وإلا لكان استفاد من الكلام الأول والكلام الثاني، من المناقشة، ما استفاد إلى أن أحيط بثمره.

المقصد الذي نظنه برب العالمين:

كل نعمة إنما أنعم بها الله وأن نعم الدنيا ليست دليل على رضا الله، هذا ما نظنه في الله، فلا يقال انظروا للكفار عندهم وعندهم، وهم ما عندهم، لكن سلمنا لك أن عندهم، هذا ليس دليل على رضا رب العالمين، لا تحسب هذا الحسبان. خطأ أن تظن هذا الظن في رب العالمين؛ أنه يعط الناس على أساس إيمانهم، يعطي المؤمن والكافر وهي مجرد ابتلاء.

الشيء الثالث هو المهم؛ أن رب العالمين يقدر على الناس أقدارا ليزيل عنهم أوهاما، حتى لا نقابل رب العالمين ونحن مخدوعين في أمور نحسبها أنها هي التي تفعل، وهي التي تعطي، فيذهب الإنسان لرب العالمين بأوزاره، وإنما هذه الأمور تأتي في الدنيا لأجل أن تكتشف الحقيقة، تدفع الأوهام وتعرف أن الولاية لله الحق. وأن كل هذه الأشياء لا قيمة لها، وأنك كما أتيت للدنيا منفردا مجردا، ما عندك من الملك شيء، ولا حتى ملبس يغطيك، مثلها ستلقى ربنا، ما عندك من الملك شيء حتى ملبس يغطيك.

المقصد من هذا كله أن نظن بالله خيرا ونفسر أفعاله كما ينبغي تفسيرها، لا تشعر أن الآلام والأحزان والمصائب تأتي لمجرد التكدير، وإنما

هي تطهير وتغيير ورب العالمين حكيم في كل أفعاله. هناك أشياء مؤلمة تذهب بالفؤاد، لكن العبد يحسن الظن بالله حتى مع نزول هذه الآلام. يحسن الظن بالله يعني أنه -سبحانه وتعالى- سيكتب الأجور لهؤلاء الخلق على صبرهم، وسيزيل عنهم يوم القيامة شؤون، أهل العافية يتمنون لو أنهم نشروا بالمناشير. هذا هو ظننا في رب العالمين؛ أن حتى البلاءات التي تنزل على الإنسان إنما من آثار رحمته سبحانه وتعالى.

نسأل الله -عز وجل- أن يجعلنا ممن أحسن الظن ولقيه بحسن الظن وازداد حسن ظن، وما لقي ربه في لحظة موته إلا وهو يحسن الظن به، اللهم آمين. سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.